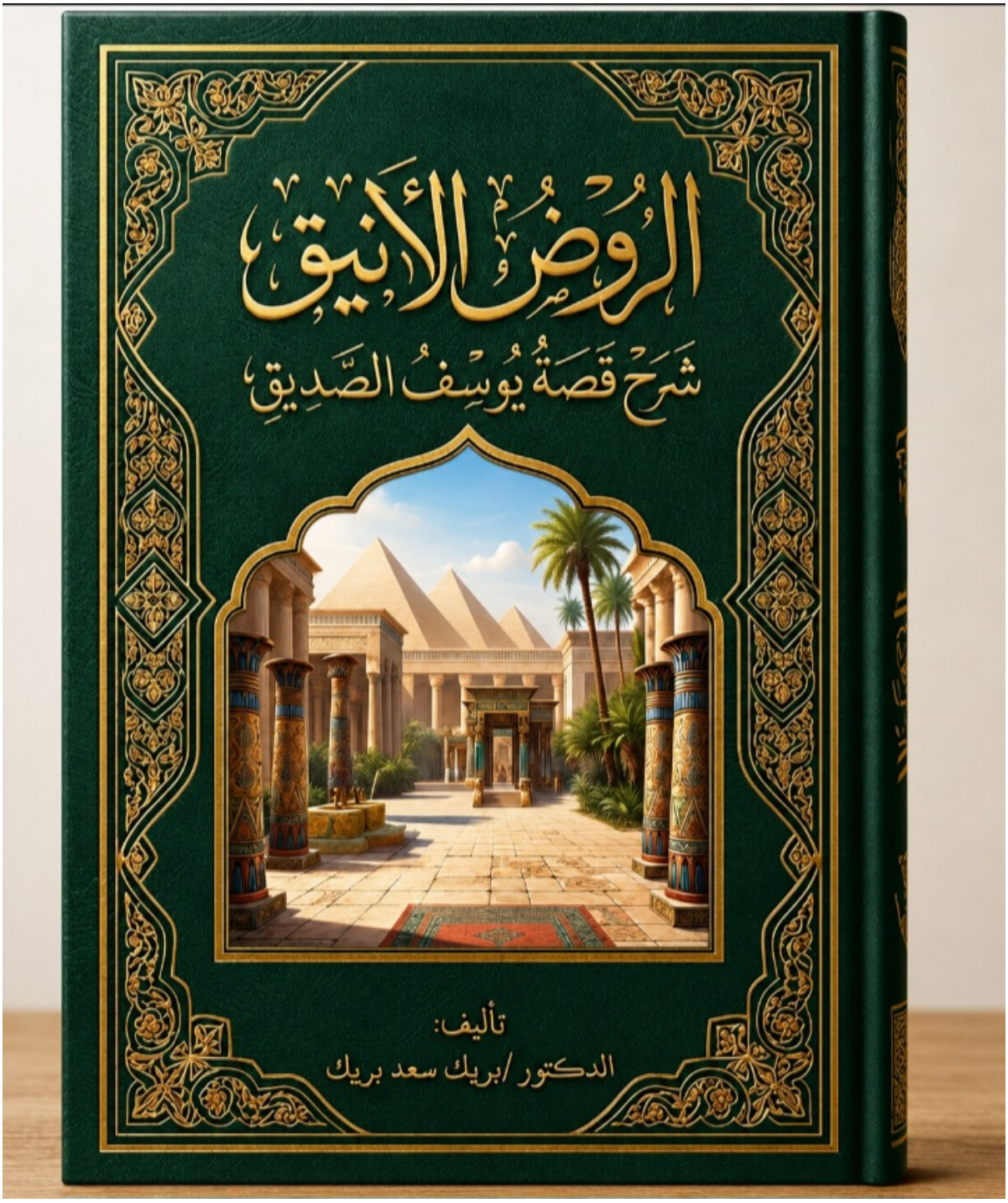

Edit with WPS Office

المقدمة

Edit with WPS Office

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل كتابه هدىً ونورًا ورحمةً للعالمين، وجعل في قصص أنبيائه عبرًا لأولي الألباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإن قصة نبي الله يوسف عليه السلام من أجلّ ما قصّه الله تعالى في كتابه العزيز، وقد أفردها سبحانه بسورة كاملة، ووصفها بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]، لما اشتملت عليه من عظيم الحكم، وبديع العبر، ودقائق التربية، وجمال البيان، وتنوع المواقف التي تُظهر أثر الإيمان والتوكل والصبر والعفة والإحسان.

وفي هذه القصة المباركة يرى القارئ كيف يدبر الله سبحانه وتعالى ا لأمور بحكمته البالغة، وكيف تتحول المحن إلى منح، والشدائد إلى أسباب للتمكين، وكيف أن المؤمن إذا صدق مع ربه، وثبت على طاعته، وأحسن الظن به، فإن العاقبة تكون له، مهما اشتدت الخطوب وتعاظمت الابتلاءات.

وقد جاء هذا الكتاب ليكون رحلة تدبر وتأمل في أحداث هذه السورة العظيمة، نستعرض فيها وقائعها بأسلوب ميسر، مع الوقوف على ما فيها من الفوائد الإيمانية والتربوية والدعوية، وربطها بواقع المسلم في حياته، ليزداد يقينًا بربه، وثقةً بوعده، وحرصًا على الا قتداء بأنبيائه.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع

Edit with WPS Office

به كاتبه وقارئه، وأن يجعله سببًا لفهم كتابه، والاهتداء بهديه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

تكمن أهمية هذا البحث فيما يأتي:

بيان مكانة قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم.

إبراز الجوانب العقدية والتربوية والأخلاقية في السورة.

استنباط الفوائد الدعوية والاجتماعية والنفسية من أحداث القصة.

الرد على أشهر الشبهات المثارة حول بعض آيات سورة يوسف.

ربط هدايات القرآن بواقع المسلمين في مختلف جوانب الحياة.

أسباب اختيار الموضوع

عظمة قصة يوسف عليه السلام وما اشتملت عليه من الحكم.

كثرة الفوائد المستنبطة منها.

حاجة الدعاة وطلاب العلم إلى دراسة تحليلية تجمع بين التفسير و الهداية.

Edit with WPS Office

الرغبة في تقريب معاني السورة للقارئ بأسلوب علمي ميسر.

أهداف البحث

تفسير أحداث قصة يوسف تفسيرًا صحيحًا.

بيان هدايات السورة ومقاصدها.

استخراج الدروس العقدية والتربوية والدعوية.

توثيق الأقوال من مصادر التفسير المعتمدة.

الرد على الإشكالات المتعلقة بالقصة.

منهج البحث

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع أقوال المفسرين من المصادر المعتمدة، ثم مقارنتها والترجيح بينها عند الحاجة، مع توثيق الآيات والأحاديث، وبيان الصحيح من الضعيف، واستخراج ما تيسر من الفوائد والأحكام، مع الالتزام بالأ سلوب العلمي الواضح.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى عشرة فصول، تبدأ بالتعريف بسورة يوسف، ثم عرض أحداث القصة مرحلةً مرحلة، يلي ذلك استنباط الدروس والعبر، ثم مناقشة أبرز الشبهات، ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع

Edit with WPS Office

به كاتبه وقارئه، وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

Edit with WPS Office

الفصل الأول

Edit with WPS Office

التعريف بسورة يوسف وخصائصها ومقاصدها

تمهيد

تُعد سورة يوسف من أعظم سور القرآن الكريم أثرًا في النفوس، وأبلغها في عرض القصة القرآنية، وقد حظيت بمكانة خاصة بين سور القرآن؛ لأنها السورة الوحيدة التي روت قصة نبي كاملًا من بدايتها إلى نهايتها في سياق متصل، دون انقطاع أو توزيع على سور متعددة. وقد اشتملت على ألوان متعددة من الابتلاءات والمنح الإ لهية، فأظهرت كيف ينتقل المؤمن من الشدة إلى الفرج، ومن البلاء إلى التمكين، إذا صدق مع الله تعالى وصبر على قضائه.

وتبرز السورة أن سنن الله في الكون لا تتغير، وأن العاقبة للمتقين، وأن تدبير الله سبحانه وتعالى غالب على تدبير البشر مهما بلغت قوتهم أو مكرهم، ولذلك كانت هذه السورة مدرسة إيمانية وتربوية وأخلاقية متكاملة، يستفيد منها الفرد والأسرة والمجتمع والداعية و الحاكم.

المبحث الأول

اسم السورة وسبب تسميتها

سميت هذه السورة باسم يوسف عليه السلام، وهو نبي الله الكريم، ابن نبي الله يعقوب، ابن إسحاق، ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. ولم تسم بهذا الاسم إلا لأنها تناولت حياته منذ طفولته حتى اجتماع شمله بأهله وبلوغه أعلى مراتب العزة والتمكين.

Edit with WPS Office

وتنفرد سورة يوسف بأنها عرضت أحداث القصة في تسلسل تاريخي مترابط، يبدأ بالرؤيا التي رآها يوسف صغيرًا، ثم مؤامرة إخوته، ثم إلقائه في الجب، ثم بيعه في مصر، ثم فتنة امرأة العزيز، ثم دخوله السجن، ثم خروجه منه، ثم توليه خزائن مصر، ثم لقائه بإخوته، ثم اجتماع أسرته وتحقيق الرؤيا.

ومن هنا قال الله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3].

وقد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى ﴿أحسن القصص﴾، فقيل: لأ نه أصدق القصص، وقيل: لأنه أجمعها للعبر والمواعظ، وقيل: لما اشتمل عليه من تنوع الأحوال؛ ففيه الغنى والفقر، والرق والملك، و السجن والحرية، والبعد واللقاء، والحزن والفرح، والابتلاء والتمكين، والعفة والوفاء، والعفو والإحسان، حتى لا يكاد باب من أبواب التربية إلا وله نصيب في هذه السورة المباركة.

المبحث الثاني

ترتيب السورة وعدد آياتها وزمن نزولها

تقع سورة يوسف في الجزء الثاني عشر من القرآن الكريم، وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف، وعدد آياتها إحدى عشرة ومائة آية.

وقد أجمع جمهور العلماء على أنها سورة مكية، نزلت قبل الهجرة النبوية، في الفترة التي اشتد فيها أذى المشركين لرسول الله ﷺ،

Edit with WPS Office

وبعد عام الحزن الذي فقد فيه النبي ﷺ زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبا طالب، فكانت السورة من أعظم ما ثبّت الله به قلب نبيه الكريم.

وتتميز السور المكية بتركيزها على ترسيخ العقيدة، وتقوية اليقين ب الله، والصبر على الأذى، والإيمان باليوم الآخر، وكل هذه المعاني ظاهرة بوضوح في سورة يوسف.

وقد جاءت السورة لتؤكد للنبي ﷺ أن طريق الأنبياء واحد، وأن الا بتلاء سنة ماضية، وأن النصر يأتي بعد الصبر، كما وقع ليوسف عليه السلام، وكما وقع لسائر الرسل.

المبحث الثالث

سبب نزول سورة يوسف

ذكر المفسرون أن اليهود أرشدوا مشركي مكة إلى سؤال النبي ﷺ عن سبب انتقال بني إسرائيل إلى مصر، ظنًا منهم أنه لن يستطيع الإ جابة عن هذا السؤال؛ لأنه لم يتلقّ العلم عن أهل الكتاب، ولم يقرأ كتبهم.

فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة يوسف كاملة، مشتملة على تفاصيل دقيقة من أخبار يوسف وإخوته وآل يعقوب، في أسلوب معجز لا يقدر عليه بشر، ثم قال سبحانه:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: 102].

وفي هذا دليل واضح على صدق رسالة النبي محمد ﷺ، وأن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى.

Edit with WPS Office

كما أن نزول السورة في تلك المرحلة كان يحمل رسالة عظيمة للمؤمنين، وهي أن الشدائد مهما طالت فإنها تعقبها المنح، وأن الله يدبر لعباده الصالحين من حيث لا يشعرون.

المبحث الرابع

مقاصد سورة يوسف

اشتملت السورة على مقاصد عظيمة، من أبرزها:

أولًا: ترسيخ عقيدة التوحيد، فقد دعا يوسف عليه السلام صاحبي السجن إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك.

ثانيًا: بيان أن الأنبياء يبتلون كما يبتلى غيرهم، بل قد يكون بلاؤهم أشد؛ ليكونوا قدوة في الصبر والثبات.

ثالثًا: التحذير من الحسد، وبيان ما يجره من ظلم وقطيعة وأذى، كما فعل إخوة يوسف.

رابعًا: إبراز منزلة العفة، فقد ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثلة في مقاومة الفتنة، مع توافر أسبابها.

خامسًا: تعليم المسلمين حسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، فقد جمع يوسف عليه السلام بين الثقة بالله وحسن التخطيط.

سادسًا: بيان فضل العفو عند المقدرة، حين قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92].

سابعًا: التأكيد على أن تدبير الله نافذ، وأن ما يقدره سبحانه لعباده

Edit with WPS Office

المؤمنين هو الخير وإن خفيت حكمته في البداية.

المبحث الخامس

أهم الموضوعات التي تناولتها السورة

تناولت سورة يوسف موضوعات متعددة، من أهمها:

الرؤى الصادقة وتعبيرها.

التربية الأسرية وأثرها في تكوين الشخصية.

خطر الحسد وآثاره.

الصبر على البلاء.

العفة وغض البصر.

الدعوة إلى الله في جميع الأحوال.

إدارة الأزمات الاقتصادية.

العدل في الحكم والإدارة.

العفو والإصلاح بين أفراد الأسرة.

الثقة بوعد الله تعالى.

ولهذا كانت السورة مصدرًا غنيًا للدعاة والمربين وأهل الفكر والإصلاح.

المبحث السادس

Edit with WPS Office

الخصائص البلاغية لسورة يوسف

امتازت السورة بخصائص بلاغية فريدة، منها:

وحدة البناء القصصي، حيث جاءت القصة في تسلسل متماسك.

دقة اختيار الألفاظ، بحيث يؤدي كل لفظ معناه بأبلغ صورة.

كثرة الحوارات التي تكشف عن الشخصيات والمشاعر.

الانتقال السلس بين المشاهد مع المحافظة على وحدة السياق.

الإيجاز البليغ في مواضع، والإطناب حيث تقتضي الحكمة.

تصوير الأحوال النفسية تصويرًا مؤثرًا، كحزن يعقوب، وثبات يوسف ، وندم إخوته.

انسجام الفواصل القرآنية مع المعاني، بما يزيد النص جمالًا وتأثيرًا.

وهذه الخصائص جعلت سورة يوسف نموذجًا للإعجاز البياني في القرآن الكريم، وميدانًا واسعًا لتأمل بلاغته وهداياته.

المبحث السابع

الدروس العامة المستفادة من السورة

ومن أهم ما يستفاد من السورة:

أن الصبر مفتاح الفرج.

أن الله لا يضيع أجر المحسنين.

أن العفة سبب للرفعة.

Edit with WPS Office

أن الحسد من أخطر أمراض القلوب.

أن المؤمن لا ييأس من رحمة الله.

أن الدعوة إلى الله لا تتوقف في أي ظرف.

أن التخطيط السليم لا ينافي التوكل.

أن العفو والإحسان يجمعان القلوب ويصلحان النفوس.

أن حسن الظن بالله من أعظم أسباب الطمأنينة.

أن كل ابتلاء للمؤمن وراءه حكمة ورحمة قد لا يدركها إلا بعد زمن.

خاتمة الفصل

يتبين من هذا الفصل أن سورة يوسف ليست مجرد قصة تاريخية، وإنما هي منهج رباني متكامل في بناء الإيمان، وتربية النفوس، وإص لاح الأسر والمجتمعات. فقد جمعت بين العقيدة والأخلاق، والدعوة والسياسة، والاقتصاد والإدارة، والصبر واليقين، والعفو والإحسان، حتى استحقت أن يصفها الله سبحانه بأنها أحسن القصص.

ومن خلال تدبر هذه السورة يدرك المسلم أن طريق الأنبياء مليء با لابتلاءات، وأن الفرج قد يتأخر لحكمة، لكنه لا يتخلف عن أهل الإ يمان والتقوى، وأن من صدق مع الله، جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، وأبدله بعد العسر يسرًا، وبعد البلاء تمكينًا.

Edit with WPS Office

الفصل الثاني

Edit with WPS Office

نسب يوسف عليه السلام ونشأته وبداية الابتلاء

تمهيد

يحتل يوسف عليه السلام مكانة رفيعة بين أنبياء الله ورسله، فهو نبي كريم ابن نبي كريم، نشأ في بيت النبوة، وتربى على التوحيد وا لإيمان منذ نعومة أظفاره. وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يبتليه ابت لاءات متتابعة منذ صغره، ليكون مثالًا خالدًا للصبر والعفة والثبات، وليظهر للناس أن العاقبة دائمًا لأهل الإيمان.

وتبدأ قصة يوسف عليه السلام قبل أن يُلقى في الجب، حين عاش في كنف أبيه يعقوب عليه السلام، محاطًا بالرعاية والمحبة، ثم رأى رؤيا عظيمة كانت بشارة بمستقبل كريم، لكنها كانت أيضًا بداية سلسلة من الابتلاءات التي انتهت بالتمكين في الأرض.

المبحث الأول

نسب يوسف عليه السلام ومكانته بين الأنبياء

يوسف عليه السلام هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

فهو يجتمع مع ثلاثة من أعظم أنبياء الله في سلسلة نسب واحدة، وكلهم اصطفاهم الله بالرسالة والهداية.

وينتمي يوسف عليه السلام إلى الأسرة الإبراهيمية المباركة التي

Edit with WPS Office

جعل الله فيها النبوة والكتاب، قال تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: 27].

وقد نشأ يوسف في بيت عرف التوحيد، والطاعة، واليقين بالله، وكان يرى في أبيه يعقوب القدوة الحسنة، ويسمع منه أخبار جده إبراهيم وجده إسحاق، فامتلأ قلبه بالإيمان منذ طفولته.

المبحث الثاني

يعقوب عليه السلام وتربيته لأبنائه

كان يعقوب عليه السلام نبيًا كريمًا، عُرف بالحكمة، وسعة الصدر، وشدة تعلقه بالله تعالى، وكان كثير الذكر، عظيم الصبر، حتى وصف الله صبره بأنه صبر جميل.

وكان يعقوب يحب أبناءه جميعًا، إلا أن يوسف وأخاه بنيامين كانا أقرب إلى قلبه؛ لأنهما من أم واحدة، ولما رأى في يوسف علامات الذكاء والصلاح والنبوة، ازداد اهتمامه بتربيته.

ولم يكن هذا الحب ظلمًا لبقية الأبناء، وإنما كان ميلًا فطريًا لا يملك الإنسان دفعه، وقد كان يعقوب يعدل بينهم فيما يقدر عليه، لكن إخوته أساؤوا فهم ذلك، فدخل الحسد إلى قلوبهم.

ومن هنا نتعلم أن على الآباء أن يجتهدوا في العدل بين الأبناء، وأن يحذروا من كل ما قد يثير الغيرة أو الشحناء بينهم.

المبحث الثالث

Edit with WPS Office

رؤيا يوسف عليه السلام

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4].

تُعد هذه الرؤيا مفتاح القصة كلها، فقد أخبر الله بها في أول السورة، ثم تحقق معناها في آخرها، مما يدل على صدق وعد الله، وأن ما يقدره سبحانه واقع لا محالة.

وقد أجمع جمهور المفسرين على أن:

الأحد عشر كوكبًا هم إخوة يوسف.

الشمس هي أمه أو خالته التي قامت مقامها بعد وفاتها.

القمر هو أبوه يعقوب عليه السلام.

وكان السجود في شرائع من قبلنا سجود تحية وتعظيم، وليس سجود عبادة، أما في شريعة الإسلام فقد نُسخ ذلك، وصار السجود عبادة لا تكون إلا لله تعالى.

وتدل هذه الرؤيا على أن الله اصطفى يوسف منذ صغره، وهيأه لمقام النبوة والتمكين.

المبحث الرابع

حكمة يعقوب عليه السلام في التعامل مع الرؤيا

لما قص يوسف الرؤيا على أبيه، أدرك يعقوب عليه السلام أنها ليست

Edit with WPS Office

رؤيا عادية، بل هي بشارة باصطفاء الله لابنه، فقال له:

﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5].

وهذا يدل على فقه يعقوب، ومعرفته بطبائع النفوس، فقد خشي أن يحملهم الحسد على إيذاء يوسف.

وفي هذه الآية فوائد كثيرة، منها:

مشروعية كتمان النعمة عن الحاسد.

أن الرؤيا الصالحة لا تُحدّث إلا لمن يحب الخير.

أن الحسد قد يدفع صاحبه إلى ارتكاب أعظم الجرائم.

أهمية نصح الأبناء وتوجيههم بالحكمة والرفق.

المبحث الخامس

بشارة النبوة

قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: 6].

تضمنت هذه الآية ثلاث بشارات عظيمة:

اجتباء الله ليوسف واختياره للنبوة.

تعليمه تعبير الرؤى وتأويل الأحداث.

Edit with WPS Office

إتمام نعمته عليه بالتمكين في الدنيا، والرفعة في الآخرة.

ومن هنا نفهم أن كل ما سيقع بعد ذلك من محن لم يكن عقوبة، وإنما كان إعدادًا ربانيًا لهذا النبي الكريم.

المبحث السادس

بداية الحسد بين الإخوة

قال تعالى:

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: 8].

كانت هذه الكلمات أول شرارة أشعلت نار الحسد في قلوب الإخوة، فقد نظروا إلى الأمر بعين المقارنة، ولم ينظروا إلى حكمة الله، فظنوا أن محبة أبيهم ليوسف تعني انتقاصهم، فاستولى عليهم الشيطان.

ومن أخطر آثار الحسد أنه يعمي البصيرة، ويدفع صاحبه إلى الظلم، ويجعله يبرر لنفسه الخطأ، ولذلك قالوا بعد ذلك:

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: 9].

وهكذا تطور الحسد من شعور داخلي إلى مؤامرة على أخيهم.

المبحث السابع

الدروس والعبر المستفادة

من أهم الدروس المستفادة من هذا الجزء من القصة:

فضل النشأة في بيت صالح.

Edit with WPS Office

مكانة الرؤيا الصالحة في الإسلام.

أهمية استشارة الوالدين في الأمور المهمة.

الحذر من الحسد وآثاره المدمرة.

ضرورة حفظ النعم وعدم إظهارها لكل أحد.

أن الابتلاء قد يبدأ منذ الصغر، لكنه قد يكون طريقًا إلى أعظم المنح.

أن اختيار الله لعبده قد يسبقه إعداد طويل وتربية ربانية.

خاتمة الفصل

يكشف هذا الفصل عن أن بداية قصة يوسف عليه السلام لم تكن مجرد أحداث عائلية، بل كانت مقدمة لخطة إلهية عظيمة، أعد الله بها نبيه الكريم لمهمة جليلة. فقد اجتمع في مطلع القصة شرف النسب، وصلاح البيئة، وبشارة الرؤيا، وحكمة الأب، ثم ظهرت أولى بوادر الابتلاء في حسد الإخوة، لتبدأ رحلة طويلة من المحن، كانت كل مرحلة فيها تقرب يوسف عليه السلام من التمكين الذي وعده الله به.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث

Edit with WPS Office

مؤامرة إخوة يوسف عليه السلام وإلقاؤه في غيابة الجب

دراسة تفسيرية وتحليلية

تمهيد

تُعد مرحلة مؤامرة إخوة يوسف عليه السلام وإلقائه في غيابة الجب من أخطر المراحل في قصة يوسف عليه السلام، إذ تمثل بداية سلسلة طويلة من الابتلاءات التي هيأها الله تعالى لنبيه الكريم، لتكون طريقًا إلى التمكين في الأرض، وإقامة الحجة على عباده، وإظهار سنته في نصر أوليائه بعد الشدة، وإكرام الصابرين بعد البلاء.

وقد عرض القرآن الكريم هذه الأحداث بأسلوب بديع يجمع بين الإ يجاز والإحكام، ويصور دقائق النفوس البشرية، وما قد يعتريها من حسد، وغيرة، وطمع، ثم يبين كيف تتدخل العناية الإلهية لحفظ أولياء الله، وإبطال كيد الكائدين، وتحويل المحنة إلى منحة، والبلاء إلى رفعة.

ولم تكن مؤامرة إخوة يوسف مجرد حادثة أسرية عابرة، بل كانت اختبارًا عظيمًا لجميع أطراف القصة؛ فقد ابتُلي يوسف عليه السلام بفراق أبيه وإلقائه في الجب، وابتُلي يعقوب عليه السلام بفقد أحب أبنائه إليه، وابتلي الإخوة بما استقر في قلوبهم من الحسد، ثم كانت نهاية الأمر تحقيق وعد الله تعالى، واجتماع الأسرة بعد سنوات طويلة من الفراق.

وفي هذا الفصل نتناول بالدراسة والتحليل دوافع المؤامرة، ومراحل

Edit with WPS Office

تنفيذها، وما اشتملت عليه من معانٍ عقدية، وتربوية، ونفسية، واجتماعية.

المبحث الأول

أسباب حسد إخوة يوسف عليه السلام ومقدمات المؤامرة

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 8-9].

أولًا: معنى الحسد وخطورته

الحسد هو تمني زوال نعمة الغير، سواء انتقلت إلى الحاسد أم لم تنتقل، وهو من أخطر أمراض القلوب، وقد كان أول ذنب عُصي الله به في السماء حين حسد إبليس آدم عليه السلام، وأول ذنب عُصي الله به في الأرض حين قتل قابيل أخاه هابيل حسدًا.

ولذلك جاءت النصوص الشرعية بالتحذير منه، قال النبي ﷺ:

«إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». رواه أبو داود.

وقصة يوسف عليه السلام من أوضح الأمثلة القرآنية التي تُظهر الآثار المدمرة للحسد إذا تُرك دون علاج.

ثانيًا: أسباب حسد الإخوة ليوسف

Edit with WPS Office

1- محبة يعقوب ليوسف وأخيه

شعر الإخوة أن يوسف وأخاه بنيامين يحظيان بعناية خاصة من أبيهما، فقالوا:

﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾.

ولم يكن ذلك ظلمًا من يعقوب عليه السلام، وإنما كان يوسف أصغر سنًا، يتيم الأم، وقد ظهرت عليه علامات النجابة والنبوة، فكان أبوه يعتني به عنايةً زائدة، والمحبة القلبية لا يملكها الإنسان، وإنما الواجب هو العدل في الحقوق والمعاملة، ولم يثبت أن يعقوب عليه السلام ظلم أبناءه أو حابى بينهم في الحقوق.

2- الغفلة عن نعم الله

نظر الإخوة إلى النعمة التي عند يوسف، ولم ينظروا إلى نعم الله عليهم، فامتلأت قلوبهم بالغيرة والحسد، وهذه طبيعة النفس إذا ضعفت صلتها بالله، فإنها تنشغل بمقارنة نفسها بغيرها، فتقع في السخط والحقد.

3- الكبر والإعجاب بالنفس

قالوا:

﴿ونحن عصبة﴾.

أي نحن جماعة أقوياء قادرون على العمل والكسب، فكأنهم رأوا أن القوة العددية تجعلهم أولى بمحبة أبيهم، وغفلوا عن أن التفاضل الحقيقي يكون بالإيمان والتقوى، لا بكثرة العدد.

Edit with WPS Office

ثالثًا: سوء الظن بالوالد

من أعظم أخطائهم قولهم:

﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾.

وليس المراد ضلال العقيدة، فذلك مستحيل في حق نبي من أنبياء الله، وإنما قصدوا – في زعمهم – أنه أخطأ في تقدير المحبة والميل القلبي.

ومع ذلك فقد كان هذا القول إساءة عظيمة في حق نبي كريم، ودليلًا على أن الحسد يعمي البصيرة، ويدفع صاحبه إلى سوء الأدب حتى مع أقرب الناس إليه.

رابعًا: التخطيط للجريمة

لم يكتف الإخوة بالحسد، بل تحول إلى التفكير العملي في التخلص من يوسف، فقالوا:

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا﴾.

وهذه المرحلة تبين خطورة الاسترسال مع وساوس الشيطان؛ فإن المعصية تبدأ بخاطرة، ثم تتحول إلى فكرة، ثم إلى عزم، ثم إلى عمل.

وقد اختلفوا في وسيلة التخلص منه، فاقترح بعضهم القتل، ورأى آخرون إبعاده في مكان مجهول، ثم جاء رأي أحدهم ليخفف الجريمة، فقال:

﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة﴾

Edit with WPS Office

[يوسف: 10].

وفي هذا دليل على أن بقايا الخير قد تبقى في قلب الإنسان، فتمنعه من الوقوع في أعظم الجرائم.

خامسًا: التوبة المؤجلة

قالوا:

﴿وتكونوا من بعده قومًا صالحين﴾.

وهذا من تلبيس الشيطان؛ إذ زين لهم ارتكاب الجريمة على أمل التوبة بعد ذلك، مع أن الإنسان لا يدري هل يعيش حتى يتوب، وهل يوفق للتوبة أصلًا.

وقد ذكر العلماء أن من مداخل الشيطان أن يعد العبد بالتوبة في المستقبل حتى يوقعه في الذنب.

الفوائد والعبر

الحسد من أعظم أسباب فساد العلاقات الأسرية.

العدل بين الأبناء واجب في الحقوق الظاهرة.

لا يجوز سوء الظن بالوالدين، فضلًا عن الأنبياء.

الحسد إذا لم يعالج تحول إلى ظلم وعدوان.

الشيطان يزين المعصية ثم يعد صاحبها بالتوبة بعد ارتكابها.

الإيمان الصادق يحجز صاحبه عن الظلم، ولو كانت دوافع النفس

Edit with WPS Office

قوية.

الابتلاء قد يكون بداية الطريق إلى أعظم صور التمكين والرفعة.

خاتمة المبحث

يتبين من خلال هذا المبحث أن المؤامرة على يوسف عليه السلام لم تكن وليدة لحظة غضب، وإنما كانت نتيجة تراكم مشاعر الحسد وسوء الظن والاستجابة لوساوس الشيطان. ومع ذلك فإن تدبير الله تعالى كان فوق كل تدبير، فقد أراد الإخوة إبعاد يوسف، وأراد الله أن يجعله سببًا لنجاتهم جميعًا، وأن تتحول المؤامرة إلى بداية تحقيق الوعد الإلهي، ليبقى قوله تعالى شاهدًا على هذه السنة الربانية: ﴿و الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف: 21].

المبحث الثاني

تنفيذ المؤامرة وإلقاء يوسف عليه السلام في غيابة الجب

Edit with WPS Office

أولًا: استئذان الإخوة من يعقوب عليه السلام

بعد أن استقر رأي إخوة يوسف على التخلص منه، بدأوا في تنفيذ خطتهم بالوصول إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، لأنهم كانوا يعلمون شدة محبته ليوسف، وأنه لن يوافق بسهولة على خروجه معهم.

قال الله تعالى:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 11-12].

تُظهر هذه الآيات جانبًا من أساليب الخداع التي استخدمها الإخوة؛ فقد قدموا الأمر في صورة النصيحة والحرص على مصلحة يوسف، بينما كانت نياتهم تخالف ما أظهروه.

تحليل قولهم: ﴿ما لك لا تأمنا على يوسف﴾

كان هذا السؤال يحمل في ظاهره الاستنكار، وفي باطنه محاولة للتأثير على مشاعر الأب، وكأنهم يقولون: لماذا لا تثق بنا ونحن إخوته؟

لكن يعقوب عليه السلام كان يشعر بالخطر، ولذلك أجابهم بقوله:

﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ [يوسف: 13].

وهذا يدل على فراسة يعقوب عليه السلام، فقد استشعر ما سيقع، ولم يكن خوفه من الذئب مجرد احتمال عابر، بل كان إلهامًا وفهمًا لطبيعة الموقف.

Edit with WPS Office

ثانيًا: موقف يعقوب عليه السلام وحكمته في التعامل مع أبنائه

لم يرفض يعقوب عليه السلام طلبهم مباشرة، ولم يتهمهم بالخيانة، وإنما عبر عن خوفه وحزنه بأسلوب حكيم.

وقوله:

﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾

فيه عدة معانٍ:

شدة تعلقه بيوسف ورعايته له.

إدراكه لضعف يوسف وصغر سنه.

رحمته بأبنائه جميعًا، فلم يواجههم باتهام مباشر.

تعليم للمؤمن أن يتعامل مع المخاطر بالحكمة والرفق.

لكن الإخوة استغلوا هذا الكلام فيما بعد، فجعلوا الذئب جزءًا من قصتهم الكاذبة.

ثالثًا: إصرار الإخوة على أخذ يوسف

كرر الإخوة طلبهم حتى وافق يعقوب عليه السلام، قال تعالى:

﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾ [يوسف: 14].

وفي هذه الآية يظهر اعتمادهم على قوتهم وعددهم، وكأن وجودهم مع يوسف يمنع وقوع أي مكروه.

لكن الإنسان مهما امتلك من قوة لا يستطيع دفع قدر الله، فالحفظ

Edit with WPS Office

الحقيقي بيد الله وحده.

وقد أراد الله أن يمضي أمره، فخرج يوسف مع إخوته ليبدأ فصلًا جديدًا من الابتلاء.

رابعًا: إلقاء يوسف عليه السلام في الجب

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15].

هذه الآية من أعظم آيات السورة؛ لأنها تجمع بين شدة الابتلاء وعظيم العناية الإلهية.

معنى: ﴿وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب﴾

أي عزموا واتفقوا على تنفيذ خطتهم.

والجب هو البئر غير المبنية، وغيابته هي المكان المظلم العميق منه، واختير هذا المكان حتى لا يصل إليه أحد بسهولة.

وكان قصدهم أن يلتقطه بعض المسافرين فيذهب به بعيدًا عن أبيه.

خامسًا: عناية الله بيوسف في لحظة الشدة

مع أن يوسف عليه السلام كان طفلًا صغيرًا في موقف شديد القسوة، فإن الله تعالى لم يتركه، فقال:

﴿وأوحينا إليه﴾.

Edit with WPS Office

وهذا الوحي ليس وحي نبوة في تلك المرحلة عند جمهور العلماء، وإنما هو إلهام وبشارة وتثبيت من الله.

فقد أخبره الله أنه سيأتي يوم يقف فيه أمام إخوته ويخبرهم بما فعلوا، وهذا من أعظم صور التثبيت؛ لأن الإنسان إذا علم أن وراء المحنة فرجًا، هان عليه البلاء.

ومن هنا يظهر معنى قوله تعالى:

﴿فإن مع العسر يسرًا﴾.

سادسًا: مشاعر يوسف عليه السلام عند إلقائه في الجب

لم يذكر القرآن تفاصيل مشاعر يوسف، لكنه أشار إلى عناية الله به، ويمكن تصور عظمة الموقف:

طفل يفارق أباه.

إخوة تحولوا إلى مصدر خوف بدل الحماية.

مكان مظلم موحش.

مجهول المستقبل.

ومع ذلك لم يكن يوسف وحيدًا؛ فقد كان الله معه، ولذلك بدأت قصة التمكين من نفس المكان الذي أرادوا أن يكون مكان هلاكه.

وهذه سنة عظيمة من سنن الله: أن يجعل بداية النصر من قلب المحنة.

سابعًا: الحكمة الإلهية من إلقاء يوسف في الجب

Edit with WPS Office

لم يكن إلقاء يوسف في الجب شرًا محضًا، بل كان وراءه حكم عظيمة، منها:

1- الانتقال من بيت الأب إلى أرض جديدة

لو بقي يوسف في بيت أبيه لما وصل إلى مصر، ولما تحققت الرؤيا.

2- إعداد يوسف للقيادة

فالابتلاءات صنعت شخصيته، وعلمته الصبر والحكمة ومعرفة أحوال الناس.

3- إظهار قدرة الله

فمن طفل ملقى في بئر يصبح عزيز مصر، وهذا لا يكون إلا بتدبير الله.

4- تعليم المؤمن حسن الظن بالله

فقد يرى الإنسان أن الأحداث تسير ضده، بينما هي في الحقيقة تسير لتحقيق الخير الذي لا يعلمه.

ثامنًا: الدروس التربوية المستفادة

أن الحسد إذا تمكن من القلب قد يدفع إلى أعظم الجرائم.

أن المؤمن قد يُبتلى بأقرب الناس إليه.

أن الله يحفظ أولياءه ولو اجتمع عليهم الناس.

أن البلاء لا يعني الهوان، فقد يكون طريقًا للرفعة.

Edit with WPS Office

أن الأخذ بالأسباب لا يمنع وقوع قدر الله.

أن الصبر في بداية الطريق سبب للتمكين في نهايته.

أن الله يدبر لعباده ما فيه الخير وإن خفي عليهم.

خاتمة المبحث

كان إلقاء يوسف عليه السلام في غيابة الجب نقطة تحول كبرى في حياته، فقد ظن إخوته أنهم أنهوا وجوده بينهم، ولكنهم في الحقيقة كانوا ينفذون قدر الله الذي جعله طريقًا لوصول يوسف إلى المكان الذي أعده الله له.

فلم يكن الجب نهاية قصة يوسف، بل كان بداية رحلة التمكين، ولم تكن المؤامرة سببًا في هلاكه، بل كانت سببًا في ظهوره، تحقيقًا لقوله تعالى:

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

المبحث الثالث

القميص الملطخ بالدم الكذب وموقف يعقوب عليه السلام

Edit with WPS Office

أولًا: رجوع الإخوة إلى أبيهم بعد تنفيذ المؤامرة

بعد أن ألقى إخوة يوسف عليه السلام أخاهم في غيابة الجب، عادوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام وهم يحملون في قلوبهم أثر الجريمة التي ارتكبوها، ويحاولون إخفاء حقيقتها بقصة مختلقة.

قال الله تعالى:

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 16-17].

تُظهر الآيات براعة القرآن في تصوير حال النفس البشرية عندما تقع في الخطأ؛ فقد حاول الإخوة تغطية جريمتهم بإظهار الحزن، فجاؤوا في وقت العشاء، وهو وقت السكون والظلام، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا المشهد أكثر تأثيرًا على أبيهم.

ثانيًا: دلالة البكاء المصطنع

قال تعالى:

﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾.

لم يقل القرآن: "حزنوا" أو "تألموا"، وإنما ذكر أنهم جاؤوا يبكون؛ لأن البكاء قد يكون صادقًا، وقد يكون وسيلة للتأثير والخداع.

وقد ذكر العلماء أن بكاءهم كان بكاء تمثيل، لأنهم كانوا يعلمون حقيقة الأمر، ولم يكن بكاؤهم نابعًا من فقد يوسف، وإنما من الخوف من انكشاف أمرهم.

Edit with WPS Office

وفي هذا درس مهم: أن مظاهر الصلاح قد تخفي أحيانًا فساد الباطن، وأن العبرة ليست بالشكل وحده، وإنما بحقيقة القلب والعمل.

ثالثًا: تحليل القصة التي اختلقوها

قالوا:

﴿إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾.

اشتملت هذه الرواية على عدة أمور:

1- الاستباق

زعموا أنهم تركوا يوسف عند أمتعتهم وانشغلوا بالسباق، وهذا قد يكون أمرًا مقبولًا في ذاته، لكنه كان جزءًا من الخطة التي وضعوها لتبرير غيابه.

2- ترك يوسف وحده

حاولوا إظهار أن ما حدث كان قضاءً وقدرًا بلا تقصير منهم، مع أنهم هم الذين صنعوا سبب البلاء.

3- نسبة الأمر إلى الذئب

اختاروا الذئب لأن يعقوب عليه السلام سبق أن ذكره لهم، فقال:

﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾.

وهذا يبين أن الإنسان إذا أراد الكذب فإنه قد يستعمل كلمات سمعها من غيره ليجعل كذبه أكثر قبولًا.

Edit with WPS Office

رابعًا: القميص الملطخ بالدم

قال الله تعالى:

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

كان القميص هو الدليل الذي أرادوا تقديمه لإثبات روايتهم، فقد لطخوه بالدم ليقنعوا أباهم أن الذئب قد أكل يوسف.

لكن الله تعالى كشف كذبهم بقوله:

﴿بدم كذب﴾.

أي دم غير حقيقي في دلالته، لأنه لم يكن دم يوسف.

وقد ذكر أهل التفسير أن يعقوب عليه السلام فهم من القميص ما لم يفهمه أبناؤه؛ فقد لاحظ أن القميص سليم لم يتمزق، فقال: لو أكله الذئب لكان القميص ممزقًا.

وهذا يدل على قوة فطنته، وأن المؤمن قد يكتشف الكذب بقرائن الأحوال.

خامسًا: موقف يعقوب عليه السلام من خبرهم

لم يصدق يعقوب عليه السلام روايتهم، ولم يدخل معهم في جدال طويل، بل قال:

﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرًا﴾.

أي زينت لكم أنفسكم أمرًا عظيمًا.

Edit with WPS Office

وهذه العبارة تدل على أن يعقوب عليه السلام أدرك أن وراء الأمر شيئًا، لكنه لم يكن يملك دليلًا ظاهرًا يواجههم به.

ثم قال:

﴿فصبر جميل﴾.

وهذه من أعظم الكلمات في القرآن، فقد اختار يعقوب عليه السلام طريق الصبر بدل الجزع والاعتراض.

سادسًا: معنى الصبر الجميل

الصبر الجميل هو الصبر الذي لا يصاحبه شكوى للخلق، ولا اعتراض على قضاء الله.

وقد ظهر صبر يعقوب عليه السلام في أمور كثيرة:

لم ينتقم من أبنائه.

لم يدع عليهم.

لم يفقد ثقته بالله.

لم ييأس من عودة يوسف.

بل بقي قلبه متعلقًا بوعد الله ورحمته.

وقال سبحانه:

﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: 86].

فالمؤمن قد يحزن، لكن حزنه لا يقطعه عن الله.

Edit with WPS Office

سابعًا: قوله تعالى: ﴿واللّٰه المستعان على ما تصفون﴾

تظهر هذه الآية كمال إيمان يعقوب عليه السلام؛ فقد جمع بين أمرين:

الصبر على البلاء.

الاستعانة باللّٰه في دفع هذا البلاء.

فهو لم يعتمد على قوته، ولا على مواجهة أبنائه، وإنما لجأ إلى اللّٰه تعالى.

وهذا هو منهج الأنبياء: الأخذ بالأسباب مع تعلق القلب باللّٰه.

ثامنًا: الفوائد والعبر المستفادة

أن الكذب مهما طال لا يمكن أن يخفي الحقيقة أمام علم اللّٰه.

أن الحسد قد يدفع الإنسان إلى ارتكاب الذنب ثم محاولة تبريره.

أن المؤمن الفطن ينظر إلى القرائن ولا يكتفي بالمظاهر.

أن الصبر الجميل من أعظم مقامات الإيمان.

أن البلاء لا يعني ترك العمل أو الاستسلام، بل يكون معه حسن التوكل.

أن اللّٰه يطلع أولياءه على ما يعينهم على الثبات.

أن ظلم الأقربين أشد ألمًا، لكن الصبر عليه أعظم أجرًا.

خاتمة المبحث

Edit with WPS Office

يكشف مشهد القميص الملطخ بالدم الكذب عن جانب عظيم من حكمة القرآن في بيان طبيعة النفس البشرية، وكيف يمكن للحسد أن يقود إلى الظلم والكذب، وفي المقابل يبرز نموذج يعقوب عليه السلا م في الإيمان والصبر والثقة باللّٰه.

لقد فقد يعقوب ابنه ظاهرًا، لكنه لم يفقد يقينه باللّٰه، ولذلك كان يعلم أن وراء هذا البلاء رحمة خفية، وأن تدبير اللّٰه أعظم من كيد البشر.

فكانت كلمات يعقوب عليه السلام: ﴿فصبر جميل واللّٰه المستعان على ما تصفون﴾ منهجًا خالدًا لكل مبتلى، ودستورًا في التعامل مع الشدائد.

المبحث الرابع

العثور على يوسف عليه السلام وانتقاله إلى مصر ودور العناية الإ لهية في إنقاذه

Edit with WPS Office

أولًا: مرور القافلة بالجب

بعد أن ألقى إخوة يوسف عليه السلام أخاهم في غيابة الجب، تركوه ومضوا، وظنوا أنهم تخلصوا منه، وأن أمره قد انتهى، ولكن تدبير الله تعالى كان فوق تدبيرهم.

قال الله تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: 19].

كانت هذه القافلة تمر في طريقها إلى مصر، وكانت تحتاج إلى الماء، فأرسلوا أحد رجالها ليستقي من البئر، فكانت المفاجأة أن الدلو لم يخرج ماءً، بل خرج به يوسف عليه السلام.

وهنا تظهر عظمة التدبير الإلهي؛ فالمكان الذي أراده الإخوة مكانًا للهلاك، جعله الله سببًا للنجاة، والظلمة التي أحاطت بيوسف في الجب كانت مقدمة لخروجه إلى مرحلة جديدة من حياته.

ثانيًا: بشارة الوارد بوجود يوسف

قال تعالى:

﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾.

تعجب الرجل عندما رأى يوسف عليه السلام، وفرح بوجوده؛ لأن وجود غلام في هذا المكان كان أمرًا غير معتاد.

وقد ذكر العلماء أن هذا النداء كان تعبيرًا عن الفرح والسرور، كما يقول الإنسان عندما يجد شيئًا ثمينًا: يا بشارتي.

Edit with WPS Office

وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى يفتح لعباده أبواب الفرج من حيث لا يحتسبون.

فيوسف الذي تركه إخوته في بئر مظلم، أخرجه الله على يد رجل يبحث عن الماء.

ثالثًا: إخفاء القافلة أمر يوسف

قال تعالى:

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾.

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية:

فقيل: إن القافلة أخفت أمر يوسف، وجعلته كأنه بضاعة مملوكة لهم حتى لا ينازعهم فيه أحد.

وقيل: إن إخوة يوسف لما علموا أن القافلة وجدته عادوا إليه، وقالوا: هذا عبد لنا هرب منا، فاشتراه منهم أصحاب القافلة.

والقول الأول أشهر عند كثير من المفسرين.

ومعنى ذلك أن يوسف عليه السلام انتقل من محنة إلى محنة؛ فمن ظلم الإخوة إلى استرقاق القافلة، لكن كل ذلك كان تحت نظر الله وعنايته.

رابعًا: بيع يوسف بثمن بخس

قال الله تعالى:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾

Edit with WPS Office

[يوسف: 20].

تظهر هذه الآية عجيب تدبير الله؛ فقد بيع يوسف بثمن قليل، مع أنه سيصبح بعد سنوات عزيز مصر.

وهذا يعلم المؤمن أن قيمة الإنسان ليست بما يراه الناس في لحظة معينة، وإنما بما يعلمه الله من قدره ومكانته.

فقد يحتقر الناس إنسانًا اليوم، ثم يرفعه الله غدًا بما عنده من الإ يمان والعلم والعمل الصالح.

خامسًا: انتقال يوسف إلى مصر

كانت مصر في ذلك الزمن من البلاد العامرة ذات الحضارة والقوة الا قتصادية، وقد كان انتقال يوسف إليها بداية مرحلة جديدة من حياته.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21].

فلم يكن دخول يوسف إلى مصر دخولًا عاديًا، بل كان بداية إعداد إلهي له؛ فقد انتقل من بيت النبوة في كنعان إلى بيت العزيز في مصر، حيث ستظهر مواهبه، وتُختبر أخلاقه، ويتهيأ للمرحلة الكبرى من حياته.

سادسًا: عناية الله بيوسف في هذه المرحلة

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 21].

هذه الآية تكشف أن الأحداث التي تبدو في ظاهرها مؤلمة كانت في حقيقتها خطوات نحو التمكين.

فالإلقاء في الجب كان تمهيدًا للوصول إلى مصر، والبيع كان طريقًا لدخول بيت العزيز، وبيت العزيز كان مقدمة للوزارة والقيادة.

وهكذا يعلمنا القرآن أن الإنسان قد يرى جزءًا من الصورة، أما الله تعالى فيعلم النهاية كلها.

سابعًا: الدروس العقدية من انتقال يوسف إلى مصر

1- الإيمان بتدبير الله

لم يكن شيء من أحداث القصة خارج علم الله، فقد قال سبحانه:

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

2- أن الأسباب لا تستقل بالتأثير

فالقافلة، والدلو، والبيع، كلها أسباب، لكن المسبب الحقيقي هو الله تعالى.

3- أن المحن قد تكون طريق المنح

فكم من أمر يكرهه الإنسان، ويكون فيه الخير العظيم.

قال تعالى:

﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم﴾.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الفوائد التربوية والدعوية

تربية النفس على حسن الظن بالله.

عدم الحكم على المستقبل من خلال الحاضر.

الثبات عند تغير الظروف.

إدراك أن الكرامة ليست بالمال أو المكانة، وإنما بالقرب من الله.

أن الله قد يفتح أبواب الخير من طرق غير متوقعة.

أن المؤمن لا ييأس مهما اشتدت عليه الظروف.

خاتمة المبحث

تكشف مرحلة العثور على يوسف عليه السلام وانتقاله إلى مصر عن جانب عظيم من جوانب العناية الإلهية؛ فقد ظن الإخوة أنهم أنهوا مستقبل يوسف بإلقائه في الجب، فإذا بهذا الجب يصبح بوابة جديدة لحياته، ويصبح البيع بداية للتمكين.

وهكذا تتجلى سنة الله في أوليائه: قد يمرون بالشدائد، لكن الله لا يتركهم، بل يصنع لهم من قلب المحنة طريقًا إلى المنحة، حتى يتحقق وعده سبحانه:

﴿إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا﴾.

Edit with WPS Office

المبحث الخامس

الإعداد الإلهي ليوسف عليه السلام في بيت العزيز ودلالاته التربوية

أولًا: دخول يوسف عليه السلام بيت العزيز

بعد أن وصلت القافلة إلى مصر، بيع يوسف عليه السلام، فاشتراه رجل ذو مكانة ومنصب، وهو العزيز، أي صاحب السلطة والنفوذ في الدولة.

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

توضح الآية أن دخول يوسف إلى بيت العزيز لم يكن مجرد انتقال من مكان إلى مكان، بل كان مرحلة من مراحل الإعداد الإلهي له، فقد أراد الله أن ينقله من حياة البداوة إلى بيئة جديدة يتعلم فيها شؤون الحكم والإدارة ومخالطة الناس.

ثانيًا: معنى قوله تعالى: ﴿أكرمي مثواه﴾

أي: أحسني إقامته، واجعلي مقامه كريمًا.

وفي هذا دليل على أن الله تعالى هيأ ليوسف أسباب الرعاية بعد شدة الابتلاء؛ فبعد أن كان في الجب بلا معين، أصبح في بيت له

Edit with WPS Office

مكانة، يجد فيه الطعام والرعاية والتعليم.

وهذه من سنن الله في عباده؛ فقد يمر المؤمن بمرحلة من الضيق، ثم يفتح الله له من أبواب رحمته ما لم يكن يتوقعه.

ثالثًا: الحكمة من اختيار بيت العزيز

لم يكن اختيار بيت العزيز أمرًا عشوائيًا، بل كان جزءًا من خطة الله تعالى لإعداد يوسف للمرحلة القادمة.

ففي بيت العزيز:

عاش في بيئة الحكم والإدارة.

تعرف على أحوال المجتمع المصري.

اكتسب خبرة في التعامل مع مختلف الطبقات.

ظهرت قدراته وأخلاقه.

أصبح مؤهلًا لتحمل المسؤولية الكبرى.

فالله سبحانه لم يخرجه من الجب إلى الراحة فقط، بل أخرجه إلى مرحلة إعداد وبناء.

رابعًا: معنى قوله تعالى: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾

أي: ليعلمه الله من تأويل الرؤى وفهم معانيها.

وكان علم تأويل الرؤى من العلوم التي اشتهر بها يوسف عليه السلام ، وقد ظهر ذلك فيما بعد عندما فسّر رؤيا صاحبي السجن، ثم رؤيا

Edit with WPS Office

الملك.

وهذا العلم لم يكن مجرد مهارة بشرية، بل كان فضلًا من الله تعالى، كما قال يوسف عليه السلام:

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ [يوسف: 37].

فالعلم الحقيقي نعمة من الله، يوفق إليها من يشاء من عباده.

خامسًا: يوسف عليه السلام بين الابتلاء والتربية

لم تكن سنوات يوسف في بيت العزيز خالية من الاختبار، بل كانت مرحلة تربية وإعداد.

فقد انتقل:

من الحرية إلى الرق.

من بيت النبوة إلى بيت لا يعرفه.

من رعاية الأب إلى خدمة قوم غرباء.

ومع ذلك لم يفقد إيمانه، ولم تتغير أخلاقه، ولم يتحول الألم إلى انحراف، بل بقي ثابتًا على الحق.

وهنا يظهر معدن الرجال؛ فالإنسان لا يعرف قدره الحقيقي في أوقات الراحة، وإنما يظهر عند الشدائد.

سادسًا: قوله تعالى: ﴿والله غالب على أمره﴾

هذه الآية من أعظم قواعد القصة كلها.

Edit with WPS Office

فالإخوة أرادوا أمرًا، والقافلة أرادت أمرًا، والعزيز أراد أمرًا، ولكن الله تعالى أراد أمرًا آخر.

قال تعالى:

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

فمهما كثرت خطط البشر، فإن مشيئة الله نافذة، وتدبيره غالب.

ومن أعظم الدروس الإيمانية: أن المؤمن لا يقف عند ظاهر الأحداث، بل ينظر إلى حكمة الله وراءها.

سابعًا: مظاهر التمكين التدريجي ليوسف

لم يكن تمكين يوسف مفاجئًا، بل مر بمراحل:

النجاة من الجب.

الوصول إلى مصر.

دخول بيت العزيز.

اكتساب العلم والخبرة.

الثبات أمام الفتن.

الخروج إلى مكانة القيادة.

وهذا يدل على أن الله تعالى قد يهيئ الإنسان للمهام العظيمة من خلال مراحل طويلة من التربية والاختبار.

ثامنًا: الدروس التربوية المستفادة

Edit with WPS Office

1- الابتلاء وسيلة للبناء

فالشدائد التي مر بها يوسف لم تحطمه، بل صنعت شخصيته.

2- المحافظة على المبادئ في كل الظروف

لم تتغير أخلاق يوسف عندما تغير مكانه، فكان كريمًا وهو ضعيف، وسيكون كريمًا وهو قوي.

3- أهمية البيئة الصالحة

فوجود يوسف في بيت العزيز كان سببًا في رعايته وإعداده.

4- أن الله يختار لعباده ما يصلحهم

فقد يكره الإنسان مرحلة من حياته، لكنها تكون سببًا في الخير.

5- التدرج في تحقيق الأهداف

فالله سبحانه جعل التمكين يأتي بعد مراحل من الإعداد.

تاسعًا: الفوائد العقدية

الإيمان بأن أفعال الله كلها لحكمة.

اليقين بأن تدبير الله خير من تدبير الإنسان.

إثبات علم الله المحيط بكل شيء.

أن الله يحفظ أولياءه ويرعاهم.

أن النعم قد تأتي بعد المحن.

Edit with WPS Office

خاتمة المبحث

كان دخول يوسف عليه السلام بيت العزيز بداية مرحلة جديدة من حياته، انتقل فيها من ألم الفقد إلى إعداد رباني دقيق، فقد كان الله يهيئه للقيام برسالة عظيمة ودور كبير في إنقاذ أمة كاملة من المجاعة.

وهكذا يتضح أن الجب لم يكن نهاية الطريق، وأن الرق لم يكن هوانًا ، بل كانا محطتين في طريق التمكين، حتى يصبح يوسف عليه السلا م فيما بعد عزيز مصر، ويحقق الله وعده له بعد طول الابتلاء.

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: 56].

Edit with WPS Office

الفصل الرابع

Edit with WPS Office

يوسف عليه السلام في بيت العزيز وفتنة امرأة العزيز

دراسة تفسيرية وتحليلية

تمهيد

تُعد مرحلة إقامة يوسف عليه السلام في بيت العزيز من أعظم مراحل الابتلاء في قصته، فهي المرحلة التي انتقل فيها من ابتلاء الظاهر إلى ابتلاء الباطن، ومن مواجهة الألم الخارجي إلى مواجهة فتنة النفس والشهوة، فبعد أن نجا من كيد إخوته، وجد نفسه أمام نوع آخر من الاختبار يحتاج إلى قوة إيمان، وثبات قلب، ومراقبة دائمة لله تعالى.

وقد شاء الله تعالى أن يُربّى يوسف عليه السلام في بيت العزيز؛ ليكتسب من الخبرة ما يؤهله للمرحلة القادمة من حياته، وليظهر فيه كمال العفة والطهارة، ويكون مثالًا خالدًا في مقاومة الفتن، والثبات على الحق، وتقديم مرضاة الله على شهوات النفس.

ولم تكن فتنة امرأة العزيز مجرد موقف عابر، بل كانت اختبارًا عظيمًا اجتمعت فيه أسباب الإغراء؛ فقد كان يوسف شابًا في مقتبل العمر، جميل الصورة، غريبًا عن أهله، وتحت سلطة امرأة ذات مكانة وجمال، ومع ذلك انتصر إيمانه، وظهر صدق عبوديته لله تعالى.

وقد خلّد القرآن الكريم هذا الموقف ليكون درسًا للأمة كلها في كيفية مواجهة الفتن، قال تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ

Edit with WPS Office

لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23].

المبحث الأول

يوسف عليه السلام في بيت العزيز ومظاهر الإعداد الإلهي

أولًا: رعاية العزيز ليوسف عليه السلام

بعد وصول يوسف عليه السلام إلى مصر وبيعه، اشتراه العزيز، وكان رجلًا ذا مكانة في الدولة، فأوصى زوجته بالإحسان إليه.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: 21].

وهذه الآية تدل على أن الله تعالى نقل يوسف من حال إلى حال، فبعد أن كان في الجب وحيدًا أصبح في بيت يوفر له الحماية و الرعاية.

لكن هذه الرعاية لم تكن مجرد تكريم دنيوي، وإنما كانت إعدادًا له لمهمة عظيمة؛ فقد كان الله يربيه بعنايته الخاصة.

ثانيًا: نشأة يوسف في بيت العزيز

نشأ يوسف عليه السلام في بيت له مكانته، وفي بيئة مختلفة تمامًا عن بيئة النبوة التي عاش فيها مع أبيه يعقوب عليه السلام.

وقد كان هذا الانتقال يحمل فوائد عديدة:

1- اكتساب الخبرة

Edit with WPS Office

فقد عرف يوسف أحوال المجتمع المصري، وتعلم كيفية التعامل مع الناس، ورأى أساليب الإدارة والحكم.

2- اختبار الثبات على الدين

فقد انتقل من بيئة الإيمان إلى بيئة يغلب عليها اختلاف العقائد، ومع ذلك بقي متمسكًا بتوحيد الله.

3- إعداد الشخصية القيادية

فالقيادة تحتاج إلى علم وتجربة ومعرفة بأحوال الناس، وقد هيأ الله يوسف لذلك قبل أن يتولى خزائن مصر.

ثالثًا: بلوغ يوسف مرحلة النضج

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22].

تشير الآية إلى أن الله تعالى جمع ليوسف بين أمرين عظيمين:

الحكم:

وهو الفهم السديد، والحكمة، والقدرة على وضع الأمور في مواضعها.

العلم:

وهو المعرفة التي وهبه الله إياها، ومنها علم تأويل الرؤى.

وهذا يدل على أن التمكين الحقيقي يقوم على العلم والحكمة، وليس

Edit with WPS Office

على القوة أو المكانة فقط.

المبحث الثاني

بداية الفتنة ومراودة امرأة العزيز

أولًا: معنى المراودة

قال الله تعالى:

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ}.

المراودة هي المحاولة المتكررة للوصول إلى أمر مع إظهار اللطف و اللين.

واختيار القرآن لهذا اللفظ يدل على أن الأمر لم يكن طلبًا عابرًا، بل كان محاولة مستمرة للإغراء.

ثانيًا: أسباب قوة الفتنة

اجتمعت في هذا الموقف أسباب كثيرة تجعل مقاومة الفتنة شديدة، منها:

الشباب والقوة: فقد كان يوسف في سن الشباب.

الجمال: وقد اختصه الله بجمال ظاهر.

الغربة: فقد كان بعيدًا عن أهله وقومه.

سلطة المرأة: فقد كانت امرأة العزيز صاحبة مكانة.

إغلاق الأبواب: أي توفير الظروف التي قد تدفع الإنسان للوقوع في

Edit with WPS Office

الخطأ.

ومع اجتماع هذه الأسباب كلها، كان انتصار يوسف دليلًا على قوة الإ يمان ومراقبة الله.

ثالثًا: موقف يوسف عليه السلام

كان رد يوسف عليه السلام:

﴿مَعَاذَ اللهِ﴾.

وهذه الكلمة القصيرة تحمل أعظم معاني الإيمان؛ فهي تعني الالتجاء إلى الله والاعتصام به.

فيوسف لم يقل: أخاف الناس، أو أخاف الفضيحة، بل قال: معاذ الله؛ لأن أعظم ما يحجز المؤمن عن المعصية هو تعظيم الله ومراقبته.

رابعًا: تذكر إحسان الله

قال يوسف:

﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.

اختلف المفسرون في معنى "ربي":

فقيل: المراد الله تعالى؛ أي إن الله أحسن إليّ فلا أعصيه.

وقيل: المراد العزيز؛ أي سيدي الذي أكرم إقامتي.

والأول أظهر من جهة السياق؛ لأن يوسف كان يستحضر نعمة الله ورقابته.

Edit with WPS Office

خامسًا: فرار يوسف من الفتنة

قال تعالى:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف: 25].

لم يكتف يوسف بالرفض القلبي، بل أخذ بالأسباب العملية، فابتعد عن مكان الفتنة وفر منها.

وفي هذا تعليم للمؤمن أن مقاومة المعصية لا تكون بمجرد النية، بل بالابتعاد عن أسبابها.

الفوائد والعبر

أن أعظم حماية من الفتن هي قوة الصلة بالله.

أن المؤمن لا يعتمد على نفسه، بل يستعين بالله.

أن العفة خلق لا يتغير بتغير الظروف.

أن الابتلاء بالفتن قد يكون أشد من الابتلاء بالمصائب.

أن الفرار من أسباب المعصية من كمال الإيمان.

أن الله يرفع من ترك شيئًا لله.

المبحث الثالث

مشهد المراودة وإغلاق الأبواب وشهادة الشاهد وبراءة يوسف عليه السلام

Edit with WPS Office

أولًا: تصاعد الفتنة ومحاولة امرأة العزيز إغراء يوسف عليه السلام

بعد أن رفض يوسف عليه السلام الاستجابة لامرأة العزيز، لم تتوقف عن محاولتها، بل انتقلت الفتنة إلى مرحلة أشد، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

تُعد هذه الآية من أكثر آيات قصة يوسف عليه السلام التي وقع فيها كلام طويل بين أهل العلم، لما اشتملت عليه من بيان عصمة الأنبياء، وبيان منزلة يوسف عليه السلام عند الله تعالى.

والذي تدل عليه الآية أن الله تعالى حفظ يوسف وصرف عنه السوء والفحشاء، وأنه كان من عباد الله الذين أخلصهم الله لطاعته، فلم يكن للشيطان عليه سبيل.

ثانيًا: معنى همّ امرأة العزيز وهمّ يوسف عليه السلام

1- همُّ امرأة العزيز

اتفق أهل التفسير على أن امرأة العزيز قصدت الفعل المحرم، ودل على ذلك سياق الآيات:

أنها راودته عن نفسه.

أنها غلقت الأبواب.

أنها قالت: ﴿هيت لك﴾.

أنها طلبت منه الاستجابة الصريحة.

Edit with WPS Office

فكان همها همّ عزم وإرادة.

2- همٌ يوسف عليه السلام

أما همٌ يوسف عليه السلام فقد اختلف العلماء في تفسيره، وقد تنوعت أقوالهم، وأحسن ما قيل فيها:

أن يوسف عليه السلام لم يكن همُه همّ فعل المعصية، وإنما كان ما يعرض للبشر من الخاطر الطبيعي عند وجود دواعي الفتنة، ثم عصمه الله تعالى وثبته.

ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

فقد حال برهان الله بينه وبين الوقوع في الخطأ، فكان فضل الله عليه عظيمًا.

كما أن قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

شهادة من الله تعالى بطهارته وإخلاصه.

ثالثًا: برهان الله الذي رآه يوسف

اختلف المفسرون في تحديد معنى البرهان، ووردت أقوال متعددة، والأولى عدم الجزم بما لم يثبت بدليل صحيح.

والمعنى العام: أن الله تعالى أراه من الدلائل التي ثبتت قلبه، وقوّت إيمانه، وصرفته عن المعصية.

Edit with WPS Office

فقد يكون البرهان:

استحضار مراقبة الله.

تذكر نعمة الله عليه.

العلم بحرمة المعصية.

اليقين بعاقبة الذنب.

وكلها معانٍ صحيحة تشهد لها أصول الشريعة.

رابعًا: إغلاق الأبواب واشتداد الخطر

قال الله تعالى:

﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: 23].

اختار القرآن لفظ "غلقت" بالتشديد، للدلالة على كثرة الإغلاق و المبالغة فيه، فقد أغلقت الأبواب بإحكام حتى لا يخرج يوسف ولا يدخل أحد عليهما.

وهذا يدل على أن أسباب الفتنة كانت مكتملة:

خلوة.

إغراء.

سلطة.

إغلاق المكان.

Edit with WPS Office

ومع ذلك انتصر يوسف، لأن قوة الإيمان أعظم من قوة الشهوة.

خامسًا: موقف يوسف في لحظة الاختبار

قال تعالى:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

هذه الكلمة تمثل قمة الأدب مع الله، فهي إعلان للبراءة من المعصية، ولجوء إلى الله وحده.

فيوسف لم يناقش الفتنة طويلًا، ولم يبحث عن أعذار، وإنما أعلن موقفه مباشرة.

وهذا يعلم المؤمن أن بعض الفتن لا تعالج بكثرة الحوار معها، وإنما با لابتعاد عنها والاستعاذة بالله.

سادسًا: الفرار إلى الباب

قال الله تعالى:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

أي أسرع كل منهما إلى الباب؛ يوسف يريد الخروج، وامرأة العزيز تريد منعه.

وهنا يظهر حرص يوسف على النجاة، فلم يبق في المكان، ولم يعتمد على قوة إرادته فقط، بل فرّ من موضع الفتنة.

وفي هذا درس عظيم: أن من أراد السلامة من المعصية فعليه أن يبتعد عن مقدماتها.

Edit with WPS Office

سابعًا: تمزيق القميص وظهور الحقيقة

قال تعالى:

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف: 25].

أي مزقت قميصه من الخلف بسبب محاولتها منعه من الخروج.

وهذا دليل مادي ظهر بعد ذلك، فقد كان تمزيق القميص من الخلف علامة على أن يوسف كان هاربًا منها، وليس مقبلًا عليها.

ثامنًا: دخول العزيز وظهور الاتهام

قال الله تعالى:

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25].

عندما ظهر العزيز عند الباب، سارعت امرأة العزيز إلى قلب الحقيقة، فاتهمت يوسف بدل أن تعترف بخطئها.

وهذا من طبيعة النفس عندما تخشى انكشاف أمرها؛ فقد تلجأ إلى الدفاع بالكذب والاتهام.

تاسعًا: دفاع يوسف عن نفسه

قال الله تعالى:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف: 26].

لم يزد يوسف في الكلام، ولم يبالغ في الدفاع عن نفسه، وإنما ذكر

Edit with WPS Office

الحقيقة باختصار.

وهذا من كمال أدبه وحكمته؛ فالمظلوم يحتاج إلى بيان الحق دون تجاوز أو تشفٍّ.

عاشرًا: شهادة الشاهد وظهور البراءة

قال الله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 26-27].

كانت هذه الشهادة قائمة على قرينة ظاهرة، وهي موضع تمزيق القميص.

فإن كان التمزيق من الأمام دل على إقبال يوسف، وإن كان من الخلف دل على فراره منها.

فلما وجدوا القميص ممزقًا من الخلف ظهرت براءة يوسف.

الحادي عشر: الفوائد والعبر المستفادة

أن الإيمان الصادق يظهر عند مواطن الاختبار.

أن العفة تحتاج إلى قوة قلب ومجاهدة للنفس.

أن الفرار من أسباب المعصية من الحكمة.

أن الله يدافع عن أوليائه ويظهر الحق ولو بعد حين.

Edit with WPS Office

أن الأدلة والقرائن لها دور في إثبات الحق.

أن أصحاب المناصب قد يتعرضون للفتن كما يتعرض غيرهم.

أن النجاة من المعصية فضل من الله قبل أن تكون بقوة الإنسان.

خاتمة المبحث

كانت حادثة المراودة من أعظم الاختبارات التي مر بها يوسف عليه السلام، فقد اجتمعت فيها أسباب الفتنة كلها، ولكنه اختار طريق الطاعة، واستعصم بالله، فحفظه الله وأعلى شأنه.

وقد بقي موقف يوسف عليه السلام شاهدًا عبر التاريخ على أن الإيمان إذا استقر في القلب كان أقوى من الشهوة، وأن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

المبحث الرابع

نسوة المدينة وظهور براءة يوسف عليه السلام ودخوله السجن

Edit with WPS Office

أولًا: انتشار خبر امرأة العزيز في المدينة

بعد وقوع حادثة المراودة وظهور براءة يوسف عليه السلام أمام العزيز، لم تنتهِ الفتنة عند هذا الحد، بل انتقل الحديث من داخل القصر إلى نساء المدينة.

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30].

توضح الآية أن خبر امرأة العزيز أصبح حديث المجالس، وأن النساء استنكرن فعلها، لا من باب الورع الكامل بالضرورة، وإنما لأن الأمر خرج عن المألوف وانتشر بين الناس.

فقد كانت مكانة امرأة العزيز الاجتماعية تجعل الناس يراقبون تصرفاتها، فلما ظهر الأمر تحدثوا عنه.

ثانيًا: معنى قولهن: ﴿قد شغفها حبًّا﴾

الشغف هو وصول الحب إلى شغاف القلب، وهو الغلاف المحيط به، أي أن حبها ليوسف بلغ منها مبلغًا عظيمًا.

وفي هذا بيان لقوة تأثير الفتنة على الإنسان إذا استسلم لها، فإن القلب إذا تعلق بغير الله قد يضعف أمام الشهوات، ولذلك كان من أعظم أسباب الثبات تعلق القلب بالله تعالى.

ثالثًا: دعوة امرأة العزيز للنساء وإظهار يوسف

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: 31].

لما علمت امرأة العزيز بما قالته النساء عنها، أرادت أن تثبت لهن سبب تعلقها بيوسف، فدعتهم إلى مجلس وأعدت لهن الطعام.

ومعنى "متكأ": مكانًا معدًا للجلوس والطعام، وقيل هو ما يُتكأ عليه عند الأكل.

ثم أعطت كل واحدة منهن سكينًا، فلما دخل يوسف عليه السلام بهرهن جماله.

رابعًا: أثر جمال يوسف عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 31].

أي أعظمنه ودهشن من جماله، حتى غلب عليهن الشعور فقطعن أيديهن دون أن يشعرن.

وهذا يدل على أن الله تعالى وهب يوسف جمالًا ظاهرًا، لكنه لم يجعل الجمال سببًا للفتنة، بل جعله اختبارًا ظهر فيه كمال إيمانه وعفته.

فالجمال نعمة، لكنه يحتاج إلى شكر الله وحسن استعماله.

خامسًا: اعتراف النساء وتأثرهن بالموقف

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

كان هذا تعبيرًا عن شدة إعجابهن بجمال يوسف، وليس المقصود أنهن اعتقدن أنه ملك حقيقة، وإنما شبهنه بالملائكة في الطهارة و الجمال.

وقد أرادت امرأة العزيز من هذا المجلس أن تبرر فعلها، فقالت:

﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾.

أي: هذا هو الذي جعلني أُلام بسببه.

سادسًا: إعلان امرأة العزيز إصرارها على الفتنة

قالت:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: 32].

اعترفت امرأة العزيز أمام النساء بأنها حاولت إغراء يوسف، لكنها أقرت أيضًا بأنه امتنع واستعصم.

وهذه شهادة منها على طهارة يوسف وثباته.

ومعنى استعصم: امتنع امتناعًا شديدًا، وتمسك بالعفة.

سابعًا: تهديد امرأة العزيز ليوسف بالسجن

قالت:

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: 32].

Edit with WPS Office

لما فشلت وسائل الإغراء، انتقلت إلى التهديد.

وهذا يكشف طبيعة الفتنة؛ فإذا لم تنجح بالترغيب قد تحاول الإكراه بالترهيب.

لكن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية.

ثامنًا: دعاء يوسف عليه السلام واختياره السجن

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33].

هذه الآية من أعظم الآيات في بيان قوة الإيمان.

فيوسف لم يقل: السجن سهل، أو لا مشكلة فيه، بل علم أنه ابتلاء مؤلم، لكنه رأى أن ألم السجن أهون من غضب الله.

وهذا يدل على أن المؤمن قد يختار الضرر الدنيوي حفاظًا على دينه.

تاسعًا: عصمة يوسف عليه السلام وعناية الله به

قال تعالى:

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33].

لم يعتمد يوسف على قوته، بل لجأ إلى الله، فاعترف بحاجته إلى حفظ الله.

وهذا من كمال العبودية؛ فحتى الأنبياء يستمدون الثبات من الله

Edit with WPS Office

تعالى.

عاشرًا: استجابة الله لدعاء يوسف

قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: 34].

فكانت النتيجة أن الله حفظ يوسف من الفتنة، وإن أدى ذلك إلى دخوله السجن مؤقتًا.

وهنا يظهر معنى عظيم: أن الإنسان قد يظن أن وقوع البلاء دليل على عدم الإجابة، بينما قد يكون البلاء نفسه صورة من صور الحفظ.

الحادي عشر: دخول يوسف السجن ظلمًا

قال تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: 35].

رغم ظهور براءة يوسف، اختار أهل السلطة سجنه حفاظًا على مكانة امرأة العزيز.

فدخل يوسف السجن مظلومًا، لكنه دخل معه قلبًا ثابتًا وإيمانًا راسخًا.

ولم يكن السجن نهاية دعوته، بل كان بداية مرحلة جديدة سيظهر

Edit with WPS Office

فيها علمه وحكمته.

الفوائد والعبر المستفادة

أن الفتنة قد تأتي من أصحاب المكانة والسلطة.

أن المؤمن قد يُبتلى بسبب تمسكه بالحق.

أن العفة تحتاج إلى استعانة دائمة بالله.

أن السجن أو البلاء لا يعني الهوان عند الله.

أن حفظ الدين مقدم على راحة الدنيا.

أن الله قد يجعل المحنة طريقًا للرفعة.

أن الداعية يحمل رسالته في كل الظروف، حتى في السجن.

خاتمة المبحث

تكشف هذه المرحلة من قصة يوسف عليه السلام عن أروع صور الثبات أمام الفتن؛ فقد واجه إغراءً شديدًا، ثم ضغطًا اجتماعيًا، ثم تهديدًا بالسجن، لكنه بقي ثابتًا لأن قلبه تعلق بالله تعالى.

فكان اختياره للسجن دليلًا على صدق إيمانه، وكان ذلك السجن بوابة جديدة سيظهر فيها علمه ودعوته، حتى يخرج منه إلى التمكين والقيادة.

Edit with WPS Office

المبحث الخامس

يوسف عليه السلام في السجن: الدعوة إلى الله وتفسير رؤيا صاحبي السجن

أولًا: دخول يوسف عليه السلام السجن مظلومًا

بعد أن ظهرت براءة يوسف عليه السلام من خلال القرائن والشواهد، وبعد أن اعترفت امرأة العزيز أمام النساء بأنها هي التي راودته، إلا أن أصحاب النفوذ اختاروا سجنه فترة من الزمن.

قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: 35].

توضح الآية أن قرار السجن لم يكن بسبب ثبوت التهمة على يوسف، بل كان بسبب اعتبارات دنيوية تتعلق بحفظ مكانة امرأة العزيز، وإخفاء الأمر عن الناس.

وهنا يظهر جانب عظيم من ابتلاء الأنبياء؛ فقد يُبتلى العبد الصالح لا بسبب ذنب ارتكبه، وإنما بسبب تمسكه بالحق ورفضه للباطل.

ثانيًا: الحكمة من دخول يوسف السجن

Edit with WPS Office

قد يبدو دخول يوسف السجن في ظاهره عقوبة، لكنه في الحقيقة كان مرحلة جديدة من مراحل الإعداد الإلهي.

ففي السجن:

التقى يوسف بأناس يحتاجون إلى التوجيه.

ظهرت موهبته في تفسير الرؤى.

انتشر علمه وحكمته.

كان السجن طريقًا إلى لقاء الملك وخروجه إلى التمكين.

وهذه سنة من سنن الله؛ فقد يفتح الله أبواب الخير من خلال أحداث يظنها الإنسان شرًا.

قال تعالى:

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216].

ثالثًا: موقف يوسف عليه السلام داخل السجن

لم يسمح يوسف عليه السلام للظلم الذي وقع عليه أن يحوله إلى إنسان ساخط أو منعزل، بل استمر في أداء رسالته.

فلم يكن همه الأول الخروج من السجن، وإنما كان همه هداية الناس وتعريفهم بالله.

وهذا من أعظم صفات الأنبياء؛ أن دعوتهم لا تتوقف بتغير الظروف.

فيوسف كان داعية في بيت العزيز، وداعية في السجن، وداعية وهو

Edit with WPS Office

صاحب سلطان.

رابعًا: دخول صاحبي السجن مع يوسف

قال الله تعالى:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36].

دخل مع يوسف رجلان، ورأيا فيه من الصلاح والعلم ما جعلهما يطلبان منه تفسير رؤياهما.

وقولهما:

﴿إنا نراك من المحسنين﴾

يدل على أن أخلاق الإنسان وأعماله الصالحة قد تظهر حتى دون كلا م كثير.

خامسًا: منهج يوسف عليه السلام في الدعوة

قبل أن يجيب يوسف عن الرؤيا، انتهز الفرصة لدعوتهما إلى التوحيد.

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39].

وهذا يدل على حكمة يوسف في الدعوة؛ فلم يبدأ بتفسير الرؤيا

Edit with WPS Office

مباشرة، بل قدم ما هو أهم، وهو إصلاح العقيدة.

فصلاح العقيدة هو الأساس الذي تُبنى عليه حياة الإنسان كلها.

سادسًا: تقرير عقيدة التوحيد

قال يوسف عليه السلام:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: 40].

بيّن يوسف بطلان عبادة غير الله، وأن المعبودات التي عبدها الناس من دون الله لا تملك حقيقة ولا دليلًا.

ثم قال:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

أي أن التشريع والعبادة والطاعة المطلقة حق لله وحده.

سابعًا: تفسير يوسف لرؤيا صاحبي السجن

بعد أن دعا يوسف إلى التوحيد، فسر لهما الرؤيا.

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ [يوسف: 41].

فأخبر الأول أنه سيخرج ويعود إلى عمله عند الملك، وأخبر الثاني أنه سيعاقب ويُصلب.

Edit with WPS Office

وقد صدق الله تأويل يوسف، فوقع الأمر كما أخبر.

ثامنًا: وصية يوسف لصاحبه الخارج من السجن

قال تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42].

أي: اذكر أمري عند الملك، لعله يكون سببًا في خروجي.

وقد اختلف العلماء في قوله:

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾

فقيل: أنسى الشيطان الرجل أن يذكر يوسف عند الملك، وقيل: أنسى يوسف الالتجاء إلى الله بسبب تعلقه بالسبب البشري.

والأقرب أن الآية لا تدل على نقص في توكل يوسف، وإنما تبين طبيعة الأسباب البشرية وأن الاعتماد الحقيقي يكون على الله.

تاسعًا: الدروس التربوية من مرحلة السجن

1- الداعية لا يتوقف عن الدعوة

فيوسف دعا في السجن كما دعا خارجه.

2- اغتنام الفرص

استغل يوسف سؤال صاحبي السجن ليبين التوحيد.

3- العلم وسيلة للإصلاح

Edit with WPS Office

فقد جعل الله علم يوسف سببًا لهداية الناس.

4- حسن الخلق سبب لقبول الدعوة

فقد شهد له أهل السجن بالإحسان قبل أن يسمعوا كلامه.

5- البلاء لا يمنع العطاء

فقد كان يوسف مسجونًا، لكنه كان صاحب رسالة.

عاشرًا: الفوائد العقدية والدعوية

التوحيد هو أول وأعظم قضايا الدعوة.

الأنبياء يبدؤون بإصلاح العقيدة قبل إصلاح السلوك.

العلم فضل من الله ينبغي استخدامه في الخير.

الله يرفع أهل الإيمان والعلم ولو بعد حين.

المؤمن يعمل بالأسباب مع تعلق قلبه بالله.

خاتمة المبحث

كانت مرحلة السجن في حياة يوسف عليه السلام مدرسة عظيمة في الصبر والدعوة والثبات، فقد دخل السجن مظلومًا، لكنه خرج منه مرفوع الرأس، ولم يكن السجن سببًا في إيقاف رسالته، بل أصبح مكانًا انتشرت فيه دعوته وظهرت فيه حكمته.

وهكذا تتجلى سنة الله في أوليائه؛ فقد يُضيّق عليهم في مكان، ثم يجعل الله لهم فيه فتحًا ونصرًا وتمكينًا.

Edit with WPS Office

.{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}.

Edit with WPS Office

الفصل الخامس

Edit with WPS Office

يوسف عليه السلام في السجن

مدرسة الصبر والدعوة إلى الله

تمهيد

إذا كانت مرحلة الجب قد كشفت عن صبر يوسف عليه السلام على ظلم إخوته، فإن مرحلة السجن تكشف عن جانب آخر من عظمته، وهو صبره على الظلم وهو بريء، ثم تحويله السجن من مكان للعقوبة إلى مدرسة للدعوة إلى الله تعالى.

فالسجن في نظر الناس مكان للعزلة واليأس، أما في نظر يوسف عليه السلام فقد كان ميدانًا للدعوة، وفرصةً لإصلاح القلوب، وتعليم الناس التوحيد، وإظهار أخلاق الأنبياء. ومن هنا تظهر عظمة الإيمان؛ إذ يحول المحنة إلى منحة، والشدائد إلى وسائل للتقرب إلى الله.

المبحث الأول

سبب دخول يوسف عليه السلام السجن

بعد أن ظهرت براءة يوسف عليه السلام من مراودة امرأة العزيز، كان المتوقع أن يُكرّم ويُرفع شأنه، لكن الأحداث أخذت مسارًا آخر.

قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: 35].

لقد رأى العزيز ومن معه الأدلة القاطعة على براءة يوسف، ولكنهم آثروا المحافظة على مكانة الأسرة وهيبتها أمام الناس، فكان القرار

Edit with WPS Office

أن يُسجن يوسف مدة من الزمن حتى يهدأ الحديث بين الناس.

وهنا تتجلى سنة من سنن الله، وهي أن المظلوم قد يتعرض لظلم جديد بعد ظهور براءته، ولكن الله لا يضيع حقه، وإنما يؤخر النصر لحكمة يعلمها سبحانه.

وكان بإمكان الله أن ينجّي يوسف من السجن كما نجّاه من الجب، لكنه سبحانه أراد أن يهيئه لمرحلة أعظم، وأن يجعل السجن طريقًا إلى القصر.

المبحث الثاني

اختيار السجن على المعصية

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام:

﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33].

تعد هذه الآية من أعظم آيات القرآن في بيان قوة الإيمان؛ إذ لم يطلب يوسف الراحة، ولم يدعُ بزوال الابتلاء مباشرة، وإنما اختار السجن طائعًا على أن يقع في معصية الله.

وفي هذا دلالة على أن المؤمن إذا خُيِّر بين طاعة الله وبين شهوة النفس، قدّم رضا الله مهما كانت التضحيات.

كما أن الآية تعلم المؤمن أن الثبات على الحق قد يكلفه شيئًا من الدنيا، لكن عاقبته خير في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث

Edit with WPS Office

أخلاق يوسف داخل السجن

دخل يوسف السجن، لكنه لم يدخل بروح المهزوم، ولم يستسلم للحزن، ولم ينقطع عن الناس، بل عاش بينهم بأخلاق الأنبياء.

وقد رأى السجناء فيه الصدق، والأمانة، وحسن العبادة، والرفق بـ الناس، حتى قالوا له:

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36].

وهذه الشهادة لم تكن بسبب نسبه، ولا جماله، ولا مكانته، وإنما بسبب حسن خلقه.

ومن هنا ندرك أن الداعية الصادق يدعو الناس إلى الله بأخلاقه قبل كلماته، وأن حسن السيرة يفتح القلوب قبل حسن البيان.

المبحث الرابع

رؤيا صاحبي السجن

دخل مع يوسف السجن رجلان، فرأى أحدهما أنه يعصر خمرًا، ورأى ا لآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه.

فقالا:

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36].

لقد اختارا يوسف لتعبير الرؤيا؛ لما عرفاه من صدقه وعلمه، وهذا يدل على أن السمعة الطيبة رأس مال الداعية والعالم.

وكان يوسف قد آتاه الله علم تأويل الرؤى، وهو علم خصه الله به،

Edit with WPS Office

كما وعده في بداية السورة بقوله:

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6].

المبحث الخامس

اغتنام الفرصة للدعوة إلى الله

قبل أن يجيب يوسف عن الرؤيا، لم يتعجل الجواب، بل اغتنم فرصة إقبال الرجلين عليه، وبدأ بدعوتهما إلى توحيد الله.

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39].

ثم بين لهما فساد عبادة غير الله، وأن الحكم لله وحده، فقال:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40].

ويُعد هذا الموقف من أعظم الدروس في فقه الدعوة؛ فقد قدّم يوسف إصلاح العقيدة على الإجابة عن السؤال، لأن معرفة الله هي أصل كل خير.

ومن منهجه الدعوي في هذه الآيات:

بدأ باللين وحسن الخطاب.

خاطبهما بما يقرب القلوب.

أقام الحجة بالعقل والوحي.

Edit with WPS Office

لم يهاجم الأشخاص، بل ناقش الأفكار.

أجاب عن سؤالهما بعد أن أدى واجب الدعوة.

المبحث السادس

تعبير الرؤيا

بعد أن انتهى من الدعوة، عبّر الرؤيا.

فقال للأول:

﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾.

أي سيخرج من السجن ويعود إلى خدمة الملك.

وقال للثاني:

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾.

ثم أكد أن هذا قضاء الله الذي لا يتغير بقوله:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41].

وقد وقع الأمر كما أخبر يوسف، فكان ذلك دليلًا جديدًا على صدقه ونبوته.

المبحث السابع

نسيان الساقي وبقاء يوسف في السجن

لما علم يوسف أن أحد الرجلين سيخرج، قال له:

Edit with WPS Office

.{اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} [يوسف: 42].

أي اذكر قصتي عند الملك.

لكن الساقي نسي أن يذكر يوسف، فبقي في السجن بضع سنين.

وفي ذلك حكم عظيمة، منها:

أن الفرج لا يكون إلا في الوقت الذي يقدره الله.

أن الله قد يؤخر الخير لحكمة أعظم.

أن تعلق القلب بالله أولى من تعلقه بالأسباب، مع مشروعية الأخذ بها.

المبحث الثامن

الفوائد العقدية والتربوية والدعوية

أولًا: الفوائد العقدية

وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة.

الإيمان بأن قضاء الله نافذ لا يرده أحد.

أن الله يبتلي أولياءه ثم يكرمهم.

ثانيًا: الفوائد التربوية

الصبر على الظلم من صفات الأنبياء.

العفة سبب لرفعة العبد.

Edit with WPS Office

حسن الخلق يكسب صاحبه محبة الناس.

استثمار المحن في بناء النفس.

ثالثًا: الفوائد الدعوية

اغتنام الفرص للدعوة إلى الله.

البدء بالأهم فالمهم.

الحكمة والرفق في الحوار.

تقديم القدوة العملية على الكلام.

رابعًا: الفوائد النفسية

المؤمن لا يسمح للابتلاء أن يحطم نفسه.

التفاؤل والثقة بالله يخففان أثر المحن.

الانشغال بخدمة الناس يخفف آلام النفس.

خاتمة الفصل

لقد تحوّل السجن في حياة يوسف عليه السلام من مكان للعقوبة إلى منبر للدعوة، ومن ظلمةٍ ظاهرية إلى نورٍ إيماني أضاء قلوب من حوله. فلم يمنعه الظلم من الإحسان، ولم تمنعه القيود من تبليغ رسالة ربه، فكان مثالًا للداعية الصابر الذي يجعل من كل ظرف فرصة للطاعة والإصلاح.

كما يظهر هذا الفصل أن الله تعالى إذا أراد لعبده رفعة، هيأه لها بـ

Edit with WPS Office

التربية والابتلاء، وأن سنوات السجن لم تكن ضياعًا في حياة يوسف ، بل كانت مرحلة إعداد رباني سبق مرحلة التمكين، حتى إذا جاء أمر الله خرج يوسف من السجن مكرمًا، وانتقل من محبسه إلى قيادة الدولة، لتتحقق حكمة الله ووعده لعبده الصالح.

Edit with WPS Office

الفصل السادس

Edit with WPS Office

خروج يوسف عليه السلام من السجن وتوليه خزائن الأرض

المبحث الأول

رؤيا الملك وأبعادها العقدية والاقتصادية والإدارية

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43].

تمهيد

بعد أن قضى يوسف عليه السلام سنواتٍ في السجن ظلمًا وعدوانًا، بدأت إرادة الله تعالى في إظهار براءته ورفعة شأنه، فجعل سبحانه سبب ذلك رؤيا رآها ملك مصر. ولم تكن هذه الرؤيا حدثًا عابرًا، بل كانت نقطة تحول فاصلة في تاريخ يوسف عليه السلام، وفي تاريخ مصر كلها؛ إذ ترتب عليها إنقاذ البلاد من مجاعة محققة، وانتقال يوسف من السجن إلى قيادة الدولة.

وهذا يعلم المؤمن أن الله سبحانه قد يجعل سبب الفرج أمرًا لا يخطر على البال، وأن الأسباب كلها بيده سبحانه، يقلبها كيف يشاء، ويجعل منها مفاتيح للخير بعد طول انتظار.

لقد لبث يوسف عليه السلام في السجن سنوات، حتى ظن الناس أن خبره قد انتهى، ولكن الله لم ينس عبده، بل كان يدبر له أمره في الخفاء، حتى جاءت اللحظة التي شاءها سبحانه، فبدأت مرحلة التمكين.

Edit with WPS Office

أولًا: أهمية الرؤيا في قصة يوسف

من يتأمل سورة يوسف يجد أن الرؤى كانت محورًا رئيسًا في أحداثها.

فقد بدأت السورة برؤيا يوسف وهو صغير:

﴿إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.

ثم جاءت رؤيا صاحبي السجن.

ثم ختم الله هذا الجانب برؤيا الملك.

وكأن الله سبحانه يبين أن علم تأويل الرؤى الذي امتن به على يوسف لم يكن مجرد موهبة، وإنما كان وسيلة لتحقيق إرادته في الأ رض.

وقد قال يعقوب لابنه منذ صغره:

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾.

فكان هذا الوعد يتحقق مرحلة بعد مرحلة حتى اكتمل في رؤيا الملك.

ثانيًا: نص الرؤيا ودلالاتها

قال الملك:

﴿إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾.

Edit with WPS Office

اشتملت الرؤيا على صورتين:

سبع بقرات ممتلئات الجسم، ثم جاءت بعدها سبع بقرات هزيلات حتى أكلتهن.

سبع سنبلات خضر يانعة، وأخرى يابسة قد ذبلت.

ولم تكن الرؤيا مجرد صور متفرقة، وإنما كانت رموزًا تحتاج إلى من يفهمها ويكشف معناها.

وقد عجز أهل مصر جميعًا عن تفسيرها، لأن الله أراد أن يظهر فضل يوسف عليه السلام.

ثالثًا: لماذا اختيرت البقرات والسنابل؟

ذكر كثير من المفسرين أن مصر كانت تعتمد اعتمادًا كبيرًا على الزراعة، وكانت البقرة من أهم وسائل الحرث والعمل الزراعي، كما كانت السنابل رمزًا مباشرًا للمحاصيل والغذاء.

فجاءت الرؤيا من جنس ما يعرفه الناس، لتكون أقرب إلى الفهم بعد تفسيرها.

كما أن القرآن استخدم ألفاظًا دقيقة؛ فالبقرات السمان ترمز إلى سنوات الرخاء، والعجاف ترمز إلى سنوات القحط، أما السنابل الخضر واليابسات فتشير إلى حال الزرع والثمار في تلك السنوات.

رابعًا: موقف مستشاري الملك

لما جمع الملك كبار رجال دولته قال لهم:

Edit with WPS Office

﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾.

يدل هذا على أن الملك لم يكن مستبدًا برأيه، بل كان يرجع إلى أهل الخبرة فيما يجهله، وهي صفة من صفات الإدارة الرشيدة.

لكنهم أجابوه بقولهم:

﴿أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾.

ومعنى أضغاث أحلام أي أخلاط منامات لا معنى لها.

غير أنهم أخطؤوا في هذا الحكم، لأن الرؤيا كانت صادقة من عند الله.

ومن فوائد هذا الموقف أن الإنسان مهما بلغت منزلته العلمية قد يعجز عن أمر يعلمه غيره، ولذلك لا ينبغي لأحد أن يتكبر على الا عتراف بجهله.

خامسًا: لماذا رأى الملك الرؤيا ولم يرها يوسف؟

قد يتساءل القارئ: لماذا لم ير يوسف الرؤيا بنفسه؟

والجواب أن حكمة الله اقتضت أن يراها الملك حتى تكون سببًا في إخراج يوسف من السجن، وإظهار فضله أمام الناس جميعًا.

ولو كان يوسف هو الذي رآها، لما تحقق المقصود من إظهار منزلته العلمية أمام الملك ورجال الدولة.

وهذا من دقائق التدبير الإلهي، فإن الله يربط الأسباب بمسبباتها على أكمل وجه.

Edit with WPS Office

سادسًا: الرؤيا الصالحة في الإسلام

ثبت في السنة النبوية أن الرؤيا الصالحة من المبشرات، وهي حق إذا كانت من الله تعالى.

وقد قسم النبي ﷺ الرؤى إلى ثلاثة أنواع:

رؤيا صالحة من الله.

حلم من الشيطان.

حديث نفس يشغل الإنسان فيراه في منامه.

وكانت رؤيا الملك من النوع الأول، لأنها تضمنت خبرًا سيقع في المستقبل، ووقع كما أخبر يوسف عليه السلام.

ولذلك فإن الرؤى لا تُبنى عليها الأحكام الشرعية، لكنها قد تكون بشارة أو نذارة إذا وافقت الضوابط الشرعية.

سابعًا: اللطائف البلاغية في الآية

من جمال التعبير القرآني قوله تعالى:

﴿يأكلهن سبع عجاف﴾.

فالعادة أن البقرة لا تأكل بقرة أخرى، لكن هذا التصوير العجيب يرسم شدة المجاعة، حتى كأن سنوات القحط التهمت آثار سنوات الرخاء كلها.

كما أن تقديم صورة البقر قبل السنابل فيه انتقال من صورة الحيوان الذي يعيش على الزرع، إلى الزرع نفسه، فيتضح أن الأزمة ستشمل

Edit with WPS Office

جميع جوانب الحياة الاقتصادية.

ومن بلاغة القرآن أيضًا أنه ذكر العدد في الموضعين؛ لأن التساوي بين السبع والسبع يدل على أن مدة الرخاء مساوية لمدة الشدة، وهو ما سيبني عليه يوسف خطته الاقتصادية.

ثامنًا: الدروس العقدية والتربوية

تتضمن هذه الآيات جملة من الفوائد، منها:

أن الله سبحانه يدبر الكون بحكمة لا يدركها البشر إلا بعد وقوعها.

أن الفرج قد يأتي بسبب لا يتوقعه الإنسان.

أن الاعتراف بالجهل من علامات العقل.

أن العلم نعمة يرفع الله بها صاحبه.

أن الرؤيا الصالحة قد تكون بشارة أو إنذارًا.

أن التخطيط للمستقبل لا ينافي التوكل على الله.

أن القائد الحكيم يستشير أهل الخبرة قبل اتخاذ القرار.

أن الله قد يجعل أزمة واحدة سببًا لإظهار عباده الصالحين وتمكينهم.

خاتمة المبحث

كان الملك يظن أنه يبحث عن تفسير رؤيا، لكنه في الحقيقة كان يبحث عن الرجل الذي اختاره الله لإنقاذ مصر من أعظم أزمة

Edit with WPS Office

اقتصادية في تاريخها. ولم يكن يعلم أن ذلك الرجل يقبع في السجن منذ سنوات ظلمًا، وأن الله سبحانه قد هيأه بالابتلاءات المتتابعة ليكون أهلًا لهذه المهمة العظيمة.

وهكذا بدأت أولى خطوات التمكين، لا بجيش ولا بثورة ولا بقوة مادية، وإنما بعلم نافع، وحكمة راشحة، وتدبير رباني محكم. وهذه سنة من سنن الله؛ فالعلم الصادق، إذا اقترن بالأمانة والإيمان، كان من أعظم أسباب رفعة الأمم وصلاحها.

المبحث الثاني

تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك ووضع أول خطة اقتصادية لإدارة الأزمات

قال الله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 47-49].

تمهيد

يُعد هذا المقطع من سورة يوسف من أعظم النصوص القرآنية التي تُبرز الجمع بين العلم والإيمان، وبين الفهم الصحيح للواقع و

Edit with WPS Office

التخطيط للمستقبل. فلم يكتف يوسف عليه السلام بتفسير الرؤيا، بل قدّم للملك برنامجًا عمليًا متكاملًا لإنقاذ البلاد من كارثة اقتصادية محققة.

وهذا يدل على أن الأنبياء لم يكونوا دعاة عبادة فحسب، بل كانوا أيضًا أصحاب حكمة في إدارة شؤون الحياة، يربطون بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وبين الإيمان والعمل.

أولًا: دقة يوسف في تعبير الرؤيا

بدأ يوسف عليه السلام بقوله:

﴿تزرعون سبع سنين دأبًا﴾.

وكلمة «دأبًا» تعني: الاستمرار والجد والاجتهاد دون فتور.

أي أن السنوات السبع الأولى ستكون سنوات خصبة، لكنها ليست دعوة إلى الكسل والراحة، بل إلى زيادة العمل والإنتاج.

وفي هذا توجيه عظيم؛ فزمن الرخاء ليس زمن الإسراف، وإنما هو زمن البناء والاستعداد للمستقبل.

وقد استنبط العلماء من هذه الآية أن المسلم مأمور باستثمار أوقات النعمة قبل نزول البلاء، وأن العاقل هو الذي يعد نفسه للأيام الصعبة وهو في حال القوة.

ثانيًا: أول مبدأ في إدارة الأزمات: زيادة الإنتاج

لم يقل يوسف: اكتفوا بما تنتجه الأرض بطبيعتها، بل قال:

Edit with WPS Office

﴿تزرعون﴾.

وهذا أمر بالعمل المستمر، وبذل الجهد في استغلال كل الإمكانات الزراعية.

ويُفهم من الآية أن الدولة ينبغي أن تزيد إنتاجها في سنوات الرخاء، لأن الوفرة لا تدوم، وقد تعقبها أزمات تحتاج إلى مخزون كبير.

ومن هنا فإن أول ركن من أركان الخطة هو:

تعظيم الإنتاج.

استصلاح الأراضي.

استثمار الموارد.

تشجيع العمل وعدم الاتكال.

وهذا يبين أن الإسلام يحث على العمل والإنتاج، ويرفض الكسل و التواكل.

ثالثًا: المبدأ الثاني: حفظ الموارد

قال يوسف عليه السلام:

﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾.

وهذه الجملة القصيرة تحمل إعجازًا علميًا واقتصاديًا.

فقد أثبتت الخبرة الزراعية أن الحبوب إذا بقيت داخل سنابلها كانت أقل عرضة للتلف والحشرات والرطوبة، وتحافظ على جودتها مدة

Edit with WPS Office

أطول.

ولذلك لم يأمر يوسف بتخزين الحبوب مجردة، وإنما أمر بحفظها في سنابلها حتى تبقى صالحة طوال سنوات المجاعة.

وفي هذا دليل على أن الأخذ بالوسائل العلمية لا يتعارض مع الإيمان ، بل هو من تمام الأخذ بالأسباب التي أمر الله بها.

رابعًا: المبدأ الثالث: ترشيد الاستهلاك

قال تعالى:

﴿إلا قليلًا مما تأكلون﴾.

أي لا تستهلكوا كل ما تنتجون، بل اقتصروا على القدر الذي تحتاجون إليه.

وهذه الآية أصل في الاقتصاد والاعتدال، وتنهى عن الإسراف و التبذير.

قال الله تعالى:

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: 31].

فالإسلام لا يمنع الإنسان من الانتفاع بالنعم، لكنه ينهى عن إضاعتها، ويأمر بحسن إدارتها.

خامسًا: المبدأ الرابع: الاستعداد للمستقبل

قال يوسف:

Edit with WPS Office

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾.

لم يبن يوسف خطته على الواقع الحاضر فقط، بل نظر إلى المستقبل ، ووضع تصورًا لما سيحدث بعد سنوات.

وهذا هو معنى التخطيط الاستراتيجي؛ أي اتخاذ القرارات الحالية في ضوء ما يُتوقع وقوعه مستقبلًا.

ومن أعظم الأخطاء أن يعيش الإنسان أو الدولة حاضرها فقط، دون إعداد لما قد يأتي من تغيرات اقتصادية أو بيئية أو اجتماعية.

سادسًا: المبدأ الخامس: إدارة الاحتياطي

قال تعالى:

﴿يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلًا مما تحصنون﴾.

أي أن سنوات المجاعة ستستهلك معظم المخزون الذي جُمع في سنوات الرخاء.

لكن يوسف أوصى بالإبقاء على جزء من الاحتياطي، حتى لا تنفد الموارد تمامًا.

وهذا يدل على ضرورة وجود احتياطي دائم لمواجهة الظروف الطارئة، وهو مبدأ تعمل به الدول الحديثة في إدارة الغذاء والطاقة والموارد الأساسية.

سابعًا: بشارة انتهاء الأزمة

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾.

بعد سنوات القحط أخبر يوسف أن الله سيرسل عامًا يغاث فيه الناس بالأمطار والخير.

وقوله:

﴿وفيه يعصرون﴾

أي يعصرون العنب والزيتون وسائر الثمار لكثرتها.

ولم يجعل يوسف نهاية الخطة عند سنوات المجاعة، بل بين أن الأزمات لا تدوم، وأن رحمة الله تأتي بعد الشدة.

وهذا يبعث الأمل في النفوس، ويمنع اليأس، ويؤكد أن الفرج قريب مهما طال البلاء.

ثامنًا: لماذا قدّم يوسف الخطة مع التفسير؟

من اللطائف العظيمة أن يوسف لم يكتف ببيان معنى الرؤيا، بل أضاف إليها الحل.

وهذا يدل على أن العالم النافع لا يكتفي بوصف المشكلة، وإنما يقدم الوسائل العملية لعلاجها.

كما يدل على أن القيادة الناجحة لا تنشغل بتشخيص الأزمات فقط، بل تبادر بوضع الحلول الواقعية.

تاسعًا: الدروس الاقتصادية المستفادة

تتضمن هذه الآيات أصولًا اقتصادية عظيمة، منها:

Edit with WPS Office

أهمية التخطيط طويل المدى.

زيادة الإنتاج في أوقات الرخاء.

حسن إدارة الموارد الطبيعية.

ترشيد الاستهلاك ومنع الإسراف.

إنشاء مخزون استراتيجي.

الاستعداد للكوارث قبل وقوعها.

الاعتماد على العلم والخبرة في اتخاذ القرار.

أن الأمن الغذائي من أهم مسؤوليات الدولة.

عاشرًا: الدروس الإيمانية والتربوية

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله.

المؤمن ينظر إلى المستقبل بعين الحكمة، لا بعين الخوف.

النعم تستوجب الشكر، ومن شكرها حسن استثمارها.

الأزمات قد تكون سببًا في إظهار الكفاءات الصادقة.

العلم النافع من أعظم أسباب رفعة الإنسان.

الإيمان يمنح صاحبه طمأنينة تجعله يحسن التصرف في أوقات الشدة.

أقوال بعض المفسرين

Edit with WPS Office

قال الإمام ابن كثير: إن يوسف عليه السلام لم يفسر الرؤيا فحسب، بل أرشد إلى ما ينبغي فعله، فجمع بين العلم والنصيحة، وهذا من تمام إحسانه.

وقال الإمام القرطبي: في هذه الآيات دليل على جواز ادخار الأقوات للمصالح العامة إذا دعت الحاجة، وأن ذلك من حسن السياسة، وليس من سوء التوكل.

وأشار الإمام الطبري إلى أن أمر يوسف بترك الحب في سنابله يدل على حسن التدبير ومعرفته بأسباب حفظ الأقوات، وهو من تمام ما آتاه الله من العلم والحكمة.

خاتمة المبحث

يبرز هذا المبحث جانبًا مهمًا من شخصية يوسف عليه السلام، وهو أنه لم يكن نبيًا يدعو إلى التوحيد فحسب، بل كان قائدًا بصيرًا، يجمع بين الإيمان والعلم، وبين العبادة والعمل، وبين الثقة بالله وحسن التخطيط. ولذلك لم يكن غريبًا أن ينتقل بعد هذا الموقف من سجين مظلوم إلى رجل تعتمد عليه دولة بأكملها في مواجهة أخطر أزمة عرفتها في ذلك العصر.

ومن خلال هذه الخطة المحكمة تتجلى حكمة الله في إعداد يوسف للقيادة، فقد علمه تأويل الرؤى، ورباه بالابتلاء، ثم أظهر علمه في الوقت المناسب، ليكون ذلك سببًا في إنقاذ الناس وتمكينه في الأ رض، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾.

Edit with WPS Office

المبحث الثالث

امتناع يوسف عليه السلام عن الخروج من السجن حتى تثبت براءته

دراسة تفسيرية وأخلاقية وقضائية

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50].

تمهيد

بعد أن أظهر الله تعالى علم يوسف عليه السلام وحكمته في تفسير رؤيا الملك ووضع الخطة المحكمة لإنقاذ البلاد، أمر الملك بإحضاره إلى القصر، وكان من المتوقع أن يغادر يوسف السجن فرحًا بعد سنوات طويلة من الظلم، لكن المفاجأة أن يوسف رفض الخروج حتى تُحقق العدالة، وتُعلن براءته أمام الجميع.

ويعد هذا الموقف من أعظم مواقف العزة والكرامة في حياة يوسف عليه السلام، إذ لم يكن همه مجرد الحرية، وإنما كان همه أن يخرج طاهر السمعة، نقي العرض، لا يلتصق به أدنى شك.

وقد أشار العلماء إلى أن هذا الموقف دليل على كمال عقله، وحسن تدبيره، وبعد نظره، فإن القائد الذي سيتولى شؤون الناس لا بد أن يكون موضع ثقة كاملة.

Edit with WPS Office

أولًا: لماذا رفض يوسف الخروج؟

قال تعالى:

﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾.

أي: ارجع إلى سيدك، وهو الملك، واطلب منه إعادة التحقيق في القضية.

لم يقل يوسف: سأخرج أولًا ثم أبرئ نفسي بعد ذلك، بل جعل البراءة مقدمة على الخروج.

وكان يعلم أن الناس قد يقولون: لقد خرج بعفو الملك، أو بخطأ في ا لإجراءات، أما إذا ظهرت الحقيقة قبل خروجه فلن يبقى لأحد مجال للطعن فيه.

وهذا من تمام الحكمة، فإن السمعة الطيبة رأس مال الداعية، و القاضي، والعالم، وكل من يتصدر لخدمة الناس.

ثانيًا: حرص الأنبياء على صيانة الأعراض

لم يكن يوسف يدافع عن نفسه بدافع الكبر أو حب الظهور، وإنما لأن الأنبياء قدوة للأمم، فلا يجوز أن تبقى في سيرتهم شبهة.

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن يوسف عليه السلام أراد أن يعلم الناس أن الدفاع عن العرض بالحق مشروع، وأن السكوت عن التهمة مع القدرة على إظهار البراءة ليس مطلوبًا إذا ترتب عليه فساد أو تشويه للحق.

وقد أثنى الإسلام على صيانة العرض، وجعل القذف من كبائر

Edit with WPS Office

الذنوب، ورتب عليه العقوبة الشديدة؛ لأن كرامة الإنسان من أعظم الحقوق التي جاءت الشريعة بحفظها.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾

لم يذكر يوسف امرأة العزيز مباشرة، مع أنها أصل القضية، وإنما قال:

﴿ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾.

وفي هذا من الأدب ما يلفت النظر؛ فلم يشأ أن يفضحها أو يشهر بها، وإنما أحال إلى الحادثة المشهورة التي يعرفها الجميع.

وقد قال المفسرون: إن هذا من مكارم أخلاق يوسف، إذ جمع بين المطالبة بحقه، وبين الستر على من أساء إليه ما أمكن.

فهو لم يكذب، ولم يظلم، ولم ينتقم، وإنما طلب إظهار الحقيقة فقط.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾

ختم يوسف كلامه بقوله:

﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾.

أي أن الله سبحانه مطلع على كل ما وقع، لا يخفى عليه شيء من مؤامرات البشر.

وفي هذه الجملة معانٍ عظيمة:

أن المؤمن يفوض أمره إلى الله.

أن الله لا يضيع حق المظلوم.

Edit with WPS Office

أن علم الله محيط بكل صغيرة وكبيرة.

أن الحقيقة قد تخفى على الناس، لكنها لا تخفى على الله.

وهذا يمنح المؤمن طمأنينة عظيمة، فلا يجزع إذا ظُلم، لأنه يعلم أن الله سيظهر الحق في الوقت الذي يريده سبحانه.

خامسًا: إعادة فتح التحقيق

استجاب الملك لطلب يوسف، فجمع النسوة اللاتي حضرن مجلس امرأة العزيز.

قال تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 51].

ولم يكن هذا التحقيق شكليًا، بل كان تحقيقًا علنيًا أمام أهل الشأن، حتى تظهر الحقيقة كاملة.

وهذا يدل على أن إقامة العدل لا تتم بمجرد الظن، وإنما تقوم على السؤال، وسماع الأطراف، والنظر في الأدلة.

ومن هنا استنبط العلماء أهمية التحقيق العادل قبل إصدار الأحكام، وأن القضاء لا يبنى على الشائعات أو الانطباعات.

سادسًا: شهادة النسوة

كان جواب النسوة حاسمًا.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ}.

وهذه شهادة جماعية ببراءة يوسف عليه السلام.

وكلمة «حاش لله» من أقوى ألفاظ التنزيه، أي ننزه يوسف عن هذه التهمة، ولم نر منه إلا الطهر والعفاف.

ومن تأمل هذا الموقف وجد أن الله جعل الشهود أنفسهم الذين كانوا سببًا في انتشار القصة، هم الذين أعلنوا البراءة، ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة.

سابعًا: الفوائد القضائية في الآيات

تتضمن هذه الآيات عددًا من القواعد المهمة، منها:

لا يُكتفى بالاتهام حتى تقوم البينة.

من حق المظلوم المطالبة برد اعتباره.

يجب إعادة التحقيق إذا ظهرت معطيات جديدة.

لا يجوز الحكم بناءً على الإشاعات.

الاعتراف الصادق من أقوى وسائل إثبات الحق.

العدالة أساس استقرار المجتمعات.

ثامنًا: الفوائد الأخلاقية والتربوية

المحافظة على السمعة من مقاصد الشريعة.

العفو لا يعني التنازل عن الحق.

Edit with WPS Office

المطالبة بالحق تكون بالحكمة والأدب.

الصبر لا يمنع السعي لرفع الظلم.

حسن الخلق يظهر حتى مع الخصوم.

المؤمن يثق بأن الله سيظهر براءته إذا صدق مع ربه.

تاسعًا: اللطائف البلاغية

من بلاغة القرآن أن يوسف لم يقل: "أنا بريء"، وإنما طلب التحقيق، لتتكلم الوقائع والشهود.

وهذا أبلغ في الإقناع؛ لأن شهادة الخصم على نفسه أقوى من دفاع ا لإنسان عن نفسه.

كما أن الآية بدأت بأمر الملك: ﴿ائتوني به﴾، ثم انتقلت مباشرة إلى جواب يوسف: ﴿ارجع إلى ربك﴾، مما يصور سرعة اتخاذ يوسف للقرار، وثباته على مبدئه، وعدم تردده في طلب إظهار الحق.

عاشرًا: أثر هذا الموقف في مستقبل يوسف

كان رفض يوسف الخروج قبل إعلان براءته سببًا في زيادة مكانته عند الملك.

فالملك رأى رجلًا لا يطلب المنصب، ولا يفرح بالخروج فحسب، وإنما يحرص على العدل وإظهار الحقيقة.

ومن هنا ازدادت ثقة الملك به، وأصبح مهيأً لتولي أعظم مسؤولية في الدولة.

Edit with WPS Office

ولو خرج يوسف قبل ظهور براءته، لبقي في نفوس بعض الناس شيء من الشك، أما بعد هذا التحقيق، فقد خرج مكرمًا، مشهودًا له بـ الطهارة، وأصبح أهلا ً لحمل أمانة القيادة.

خاتمة المبحث

يبين هذا الموقف أن الكرامة الحقيقية ليست في الخروج من السجن، وإنما في الخروج مرفوع الرأس، ثابت الشرف، نقي السيرة. لقد كان يوسف عليه السلام قادرًا على أن يفرح بحريته، لكنه آثر أن يفرح بإظهار الحق، وأن يقدم للأمة درسًا خالدًا في أن السمعة الطيبة أغلى من كل مكسب عاجل، وأن العدالة لا تكتمل إلا إذا عاد الحق إلى أصحابه، وظهر البريء بريئًا أمام الناس جميعًا.

وهكذا مهّد الله تعالى ليوسف طريق التمكين، فلم يخرجه من السجن فحسب، بل أخرجه مبرأً، معظّمًا، محلّ ثقة الملك والرعية، ليبدأ فصلًا جديدًا من حياته عنوانه: التمكين بعد الابتلاء، والرفعة بعد الصبر.

Edit with WPS Office

المبحث الرابع

اعتراف امرأة العزيز وإظهار الله براءة يوسف عليه السلام

دراسة تفسيرية وعقدية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: 51-53].

تمهيد

يُعد هذا المشهد من أعظم مشاهد العدالة في القرآن الكريم، ففيه تتجلى حكمة الله سبحانه في إظهار الحق بعد خفائه، وإنصاف المظلوم بعد سنوات من الصبر والابتلاء. لقد بقي يوسف عليه السلام في السجن زمنًا طويلًا مع أن براءته كانت ثابتة عند الله تعالى، لكن الله أراد أن تظهر هذه البراءة على ألسنة من اتهموه، ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة، وأدعى لقبول الناس لها.

وهذا من سنن الله في عباده؛ فقد يتأخر ظهور الحق لحكمة يعلمها سبحانه، فإذا جاء أوانه أظهره بأوضح صورة، حتى لا يبقى لمبطل حجة، ولا لمتردد شبهة.

Edit with WPS Office

أولًا: بدء التحقيق أمام الملك

استجاب الملك لطلب يوسف عليه السلام، ولم يعتبره اعتراضًا على أمره، بل أدرك أن الرجل يطلب العدالة قبل الحرية، فأمر باستدعاء النسوة اللاتي شهدن حادثة تقطيع الأيدي.

قال تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾.

والمراد بـ «ما خطبكن» أي: ما شأنكن وما حقيقة الأمر الذي وقع بينكن وبين يوسف؟

وفي هذا دليل على أن الحاكم العادل لا يكتفي بما يُنقل إليه، بل يتحرى الحقيقة، ويسأل أصحاب الشأن مباشرة، ويستمع إلى جميع ا لأطراف قبل إصدار الحكم.

كما تدل الآية على أن العدالة لا تعرف مجاملة أصحاب الجاه أو النفوذ، فامرأة العزيز كانت زوجة أحد كبار رجال الدولة، ومع ذلك لم يمنع مكانها الاجتماعي من إعادة التحقيق في القضية.

ثانيًا: شهادة النسوة ببراءة يوسف

قال تعالى:

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.

وهذه الشهادة جاءت بصيغة الجماعة، مما يزيدها قوة وثبوتًا، إذ لم تكن شهادة امرأة واحدة، بل شهادة جميع من حضرن الواقعة.

Edit with WPS Office

وكلمة «حاش لله» من ألفاظ التنزيه، أي: ننزه يوسف عليه السلام عن كل ما نُسب إليه، ولم نر منه إلا العفة والطهر والاستقامة.

ومن اللطائف أن هؤلاء النسوة كن في بداية الأمر سببًا في انتشار الخبر، فلما جاء وقت إظهار الحق، جعله الله يخرج من أفواههن أنفسهن، ليكون ذلك أبلغ في إثبات البراءة.

وهذه سنة من سنن الله، فقد يجعل الشاهد على الحق هو نفسه من كان سببًا في إخفائه أو التشكيك فيه.

ثالثًا: اعتراف امرأة العزيز

قال تعالى:

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.

أي: ظهر الحق ظهورًا لا خفاء معه، وانكشف الباطل بعد أن طال ستره.

وكلمة «حصحص» من الألفاظ العربية البليغة، وهي تدل على الثبوت والوضوح والاستقرار، فكأن الحقيقة كانت محجوبة، ثم أشرقت حتى لم يبق فيها شك.

ثم قالت:

﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وهذا اعتراف صريح لا يحتمل التأويل، فقد نسبت الخطأ إلى نفسها، وبرأت يوسف براءة كاملة.

Edit with WPS Office

ولم تقل: "ربما كان بريئًا"، أو "أخطأت في تقديري"، وإنما قالت: ﴿وإنه لمن الصادقين﴾، مؤكدة صدقه بلام التوكيد.

وقد رأى كثير من المفسرين أن هذا الاعتراف كان من تمام حكمة الله؛ إذ شاء سبحانه أن يشهد الخصم نفسه ببراءة يوسف، حتى يكون ذلك أبلغ في إقامة العدل.

رابعًا: معنى قوله تعالى: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾

اختلف المفسرون في قائل هذه الجملة:

فقيل: إنها من كلام يوسف عليه السلام، أي: طلبتُ التحقيق ليعلم العزيز أني لم أخنه في غيبته.

وقيل: إنها من تمام كلام امرأة العزيز، أي: اعترفت بالحقيقة ليعلم زوجي أني لا أكذب عليه بعد الآن.

وقد رجح كثير من المحققين أن المقصود هو يوسف عليه السلام، وإن كان الخلاف مشهورًا بين أهل التفسير.

وفي كلا الوجهين تظهر قيمة الأمانة، وأن المؤمن لا يرضى بالخيانة، ولو كان قد ظُلم من الناس.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾

هذه قاعدة قرآنية عظيمة، فكل كيد يقوم على الظلم والخيانة مصيره إلى الفشل، وإن بدا في أول الأمر قويًا.

لقد ظن إخوة يوسف أن كيدهم سينهي أمره، فإذا به يكون بداية تمكينه.

Edit with WPS Office

وظنت امرأة العزيز أن اتهامها ليوسف سيصرف التهمة عنها، فإذا بـ الحق يظهر، وتبقى هي المعترفة بخطئها.

وفي ذلك تسلية لكل مظلوم، وتحذير لكل ظالم، بأن كيد الخيانة لا يدوم، وأن الله سبحانه يمهل ولا يهمل.

سادسًا: قوله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي﴾

قال تعالى:

﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾.

وهذه الآية من أعظم الآيات في بيان طبيعة النفس البشرية.

فالأصل في النفس إذا تُركت لهواها أنها تميل إلى الشهوات و المعاصي، ولذلك وصفها الله بأنها «أمارة بالسوء»، أي كثيرة الأمر بما يخالف الشرع.

لكن من رحمه الله بالإيمان والتقوى، وجاهد نفسه، واستعان بربه، حفظه الله من الانحراف.

ومن هنا ندرك أن النجاة ليست بقوة الإنسان وحدها، وإنما بتوفيق الله أولًا، ثم بمجاهدة النفس.

سابعًا: الدروس العقدية

أن الله يُظهر الحق ولو بعد حين.

أن الظلم لا يدوم مهما طال.

أن الأنبياء محفوظون من الفواحش بما يليق بمقامهم.

Edit with WPS Office

أن الله يدافع عن أوليائه إذا صدقوا معه.

أن التوفيق والثبات نعمة من الله ينبغي سؤالها دائمًا.

ثامنًا: الدروس التربوية

الاعتراف بالخطأ فضيلة وشجاعة.

الكذب قد ينجح مؤقتًا، لكنه لا يصمد أمام الحقيقة.

حسن السمعة نعمة عظيمة ينبغي المحافظة عليها.

الصبر على الظلم لا يعني الاستسلام له، بل السعي المشروع لرفع الظلم.

مجاهدة النفس أساس الاستقامة.

تاسعًا: اللطائف البلاغية

من بلاغة القرآن الانتقال من شهادة النسوة إلى اعتراف امرأة العزيز، ليكتمل بناء البرهان؛ فالشهادة جاءت أولًا من الجماعة، ثم جاء الإ قرار من صاحبة القضية نفسها.

كما أن استعمال كلمة «حصحص» يرسم صورة بديعة لانكشاف الحقيقة بعد طول خفاء، حتى كأنها خرجت إلى النور خروجًا لا رجعة بعده.

عاشرًا: أثر الاعتراف في تمكين يوسف

بعد هذه الشهادة الجماعية، وهذا الاعتراف الصريح، لم يبق مجال للطعن في يوسف عليه السلام، فأصبح أهلًا لأن يُستدعى إلى مجلس

Edit with WPS Office

الملك، وأن يُنظر إليه بوصفه رجلًا جمع بين الطهارة، والعلم، والحكمة ، والأمانة.

وكان هذا من تمام إعداد الله له، إذ لم يُرد سبحانه أن يتولى يوسف مسؤولية عظيمة وفي الناس من يشك في نزاهته، بل شاء أن يسبق التمكين إعلان البراءة، ليكون قبوله عند الناس كاملًا، وثقتهم به تامة.

خاتمة المبحث

إن هذا المشهد يعلمنا أن الحق قد يغيب، لكنه لا يموت، وأن الصبر على البلاء مع الثبات على المبادئ هو طريق العزة والتمكين. كما يبين أن الله سبحانه إذا أراد إكرام عبد من عباده، أظهر فضله في الوقت الذي يختاره، وجعل من أسباب المحنة نفسها طريقًا إلى المنحة.

لقد خرج يوسف من هذه المرحلة لا بوصفه رجلًا بُرئت ساحته فحسب، بل بوصفه قدوة في العفة، ونموذجًا في الصبر، ومثلًا أعلى في الأمانة، وهي الصفات التي أهلته لأن يكون من أعظم القادة الذين عرفهم التاريخ.

Edit with WPS Office

المبحث الخامس

لقاء يوسف عليه السلام بالملك وتوليه خزائن الأرض

دراسة تفسيرية وفقهية وإدارية

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 54-57].

تمهيد

تمثل هذه الآيات ذروة التحول في قصة يوسف عليه السلام، ففيها ينتقل من السجن إلى قصر الملك، ومن حال المظلوم إلى منزلة صاحب القرار، ومن الابتلاء إلى التمكين. ولم يكن هذا التحول مفاجئًا أو قائمًا على الحظ، وإنما كان ثمرة سنوات طويلة من الصبر، والعفة، والإحسان، والثبات على الحق.

لقد أراد الله تعالى أن يعلم عباده أن التمكين الحقيقي لا يقوم على القوة المجردة، ولا على الوساطة أو المحاباة، وإنما يقوم على الإيمان ، والعلم، والأمانة، وحسن التدبير.

Edit with WPS Office

أولًا: دعوة الملك ليوسف

قال تعالى:

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾.

بعد أن ظهرت براءة يوسف، وبلغ الملك خبر حكمته في تعبير الرؤيا ووضع خطة إنقاذ البلاد، اشتاق إلى لقائه بنفسه، ولم يكتفِ بما ثقل إليه عنه.

وقوله ﴿أستخلصه لنفسي﴾ يدل على إرادة تقريب يوسف وجعله من خاصته ومستشاريه، لما رأى فيه من صفات نادرة.

ومن الفوائد المستنبطة أن أصحاب الكفاءة إذا ظهرت فضائلهم وجب على ولاة الأمور الاستفادة منهم، وعدم إقصائهم أو تهميشهم.

ثانيًا: الحوار بين يوسف والملك

قال تعالى:

﴿فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾.

لم يذكر القرآن تفاصيل الحوار، وإنما اكتفى بذكر نتيجته، لأن العبرة بما انتهى إليه اللقاء.

ويُفهم من الآية أن الملك وجد في يوسف صفات القيادة؛ فقد رأى رجاحة عقله، وحسن منطقه، وصدق لهجته، وسعة علمه، فأصدر حكمه مباشرة.

ووصفه بوصفي-ن عظيمين:

Edit with WPS Office

1- مكين

أي صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة عالية، وسلطة معتبرة.

فالتمكين هنا يشمل النفوذ، والقدرة على اتخاذ القرار، والثقة الكاملة من الملك.

2- أمين

أي حافظ للحقوق، بعيد عن الخيانة، صادق في القول والعمل.

وقد جمع الملك بين القوة والأمانة، وهما أصل كل ولاية ناجحة.

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام:

﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص: 26].

فالقوة وحدها قد تتحول إلى ظلم إذا فقدت الأمانة، والأمانة وحدها قد لا تكفي إذا غابت الكفاءة.

ثالثًا: لماذا طلب يوسف الولاية؟

قال يوسف عليه السلام:

﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾.

قد يظن بعض الناس أن طلب المنصب مذموم على الإطلاق، لكن هذه الآية تبين أن الأمر ليس كذلك.

فيوسف لم يطلب الولاية حبًا في الجاه، ولا رغبة في السلطان، وإنما طلبها لأنه يعلم أنه الأقدر على إدارة الأزمة، ولأن المصلحة العامة

Edit with WPS Office

تقتضي أن يتولى هذا المنصب.

وقد قرر العلماء أن طلب الولاية جائز إذا اجتمعت ثلاثة شروط:

أن يقصد بها خدمة الناس وإقامة العدل.

أن يكون أهلًا لها علمًا وأمانة.

ألا يوجد من هو أصلح منه.

وهذا ما تحقق في يوسف عليه السلام.

رابعًا: معنى قوله تعالى: ﴿إني حفيظ عليم﴾

اختار يوسف عليه السلام صفتين تمثلان أساس الإدارة الناجحة.

الحفظ

الحفظ يشمل:

حفظ الأموال العامة.

حفظ الحقوق.

حفظ الأمانات.

حماية مصالح الناس.

منع الفساد والإسراف.

فالقائد لا يكفي أن يكون ذكيًا، بل لا بد أن يكون أمينًا على ما بين يديه.

Edit with WPS Office

العلم

أما العلم فيشمل:

الخبرة بالإدارة.

معرفة شؤون الاقتصاد.

حسن التخطيط.

القدرة على اتخاذ القرار.

فقه ترتيب الأولويات.

فالحفظ بلا علم قد يؤدي إلى سوء الإدارة، والعلم بلا أمانة قد يؤدي إلى استغلال السلطة.

ولهذا جمع يوسف بين الصفتين.

خامسًا: التمكين منحة من الله

قال تعالى:

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾.

أي كما أنجيناه من الجب، وحفظناه من الفتنة، وأخرجناه من السجن، فقد جعلناه صاحب سلطان في أرض مصر.

ولفظ «يتبوأ» يدل على الاستقرار والاختيار، أي أصبح ينتقل في البلاد ويتصرف فيها بإذن الملك، بعد أن كان لا يملك حتى الخروج من سجنه.

Edit with WPS Office

وهذا التحول يبين أن الله سبحانه يقلب الأحوال في لحظة، وأن دوام الحال من المحال.

سادسًا: الإدارة في ضوء قصة يوسف

يعد كثير من الباحثين قصة يوسف من أروع النماذج القرآنية في الإ دارة والقيادة.

ومن المبادئ الإدارية التي نستفيدها:

التخطيط بعيد المدى.

بناء الاحتياطيات الإستراتيجية.

ترشيد الاستهلاك.

توزيع الموارد بعدل.

تقديم الكفاءة على القرابة.

اتخاذ القرار بناءً على العلم.

النزاهة في إدارة المال العام.

تحمل المسؤولية وعدم الهروب منها.

وقد أثبت يوسف أن القيادة ليست لقبًا، بل مسؤولية وأمانة.

سابعًا: الدروس العقدية

أن الله يرفع من يشاء بطاعته.

Edit with WPS Office

أن الصبر سبب للتمكين.

أن النصر قد يتأخر لكنه لا يتخلف.

أن الإحسان لا يضيع عند الله.

قال تعالى:

﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾.

فهذه قاعدة ربانية عامة، تشمل كل من أحسن في عبادته، وأخلاقه، وعمله.

ثامنًا: الدروس التربوية

العلم يرفع صاحبه.

النزاهة أعظم رأس مال للقائد.

حسن السمعة ثمرة للاستقامة.

النجاح الحقيقي يأتي بعد الصبر.

المسلم لا يهرب من المسؤولية إذا كان قادرًا عليها.

الكفاءة والأمانة لا تنفصلان.

تاسعًا: اللطائف البلاغية

جاء التعبير بقوله:

﴿إني حفيظ عليم﴾.

Edit with WPS Office

ولم يقل: "أنا أفضل الناس"، أو "أنا أحق من غيري"، وإنما ذكر الصفات التي يحتاجها المنصب.

وفي هذا تعليم للمسلمين أن يكون الحديث عند الترشح للمسؤوليات عن الكفاءة والقدرة، لا عن الفخر بالنفس.

كما أن قوله تعالى:

﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ جاء بعد ذكر التمكين، ليبين أن كل ما نا له يوسف كان ثمرة إحسانه وصبره، وأن الجزاء الإلهي لا يتخلف.

عاشرًا: أقوال المفسرين

ذكر الإمام ابن كثير أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم من نفسه القدرة على القيام بها، وخشي أن يليها من لا يحسن التصرف في أقوات الناس.

وقال الإمام القرطبي: في الآية دليل على جواز أن يصف الإنسان نفسه بما فيه من الصفات المحمودة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولم يكن قصده الفخر أو الكبر.

وقال الإمام الطبري: إن قوله ﴿حفيظ عليم﴾ دليل على أن الولاية ينبغي أن تُعطى لمن جمع بين الأمانة والعلم، لا لمن يعتمد على أحدهما دون الآخر.

خاتمة المبحث

انتهت رحلة يوسف عليه السلام من السجن، لكنها بدأت رحلة أعظم، وهي قيادة دولة كاملة في زمن اقتصادي شديد الحساسية. ولم يكن

Edit with WPS Office

اختياره قائمًا على نسب أو جاه أو قوة، وإنما على ما شهد له به الجميع من طهارة، وعلم، وأمانة، وحسن تدبير.

وهكذا يعلمنا القرآن أن القيادة في الإسلام تكليف قبل أن تكون تشريفًا، وأن من جمع بين الإيمان والكفاءة استحق أن يكون موضع ثقة الناس، وأن الله سبحانه إذا أراد لعبد خيرًا هيأه للمسؤولية، ثم أعانه عليها، وجعل أثره باقيًا في الناس.

ومن هنا تبدأ المرحلة التالية من القصة، حيث سيواجه يوسف عليه السلام سنوات الرخاء ثم سنوات المجاعة، ويطبق الخطة التي أوحى الله إليه بها، فتشهد مصر واحدة من أعظم صور الإدارة الرشيدة في التاريخ.

Edit with WPS Office

الفصل السابع

Edit with WPS Office

لقاء يوسف عليه السلام بإخوته

بداية تحقق الرؤيا ولمّ شمل الأسرة

تمهيد

بعد أن مكّن الله تعالى ليوسف عليه السلام في أرض مصر، وجعله على خزائنها، بدأت مرحلة جديدة من مراحل القصة، تختلف في طبيعتها عن المراحل السابقة. فبعد سنوات الابتلاء في الجب، والرق ، وفتنة امرأة العزيز، والسجن، جاء دور التمكين وتحقيق الوعد الإ لهي. ولم يكن تمكين يوسف غاية في ذاته، وإنما كان وسيلة لتحقيق مقاصد عظيمة؛ منها إنقاذ الناس من المجاعة، وجمع شمل أسرته، وإظهار صدق رؤياه التي رآها في طفولته.

وقد هيأ الله تعالى أسباب هذا اللقاء بطريقة لا تخطر على بال أحد؛ إذ أصابت المجاعة مصر وما حولها، وامتد أثرها إلى أرض كنعان، حيث يقيم يعقوب عليه السلام وأبناؤه. فلم يجد إخوة يوسف سبيلًا للحصول على الطعام إلا بالسفر إلى مصر، حيث أصبحت مخازن الغ لال تحت إشراف يوسف عليه السلام، وهم لا يعلمون أن أخاهم الذي ألقوه في الجب قبل سنوات هو نفسه عزيز مصر الذي سيقفون بين يديه.

وفي هذا تتجلى سنة الله في تدبير الأمور؛ فالأحداث التي يراها الإ نسان متفرقة، ينسجها الله في نظام محكم، حتى تبلغ الغاية التي أرادها سبحانه. ولذلك قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

Edit with WPS Office

وهذه الآية الكريمة تُعد مفتاحًا لفهم قصة يوسف كلها، فما وقع من إلقائه في الجب، وبيعه عبدًا، وسجنه ظلمًا، ثم خروجه وتمكينه، لم يكن أحداثًا متفرقة، بل حلقات متتابعة في قدر الله، يقود بعضها إلى بعض حتى تتحقق الحكمة الإلهية.

المبحث الأول

المجاعة في بلاد الشام ورحلة إخوة يوسف إلى مصر

قال الله تعالى:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: 58].

أولًا: تحقق تأويل الرؤيا

بعد سبع سنوات من الرخاء والوفرة، بدأت سنوات القحط التي أخبر بها يوسف عليه السلام عند تفسير رؤيا الملك. وقد جاءت كما وصفها القرآن: سنوات شديدة، قل فيها المطر، وضعف الزرع، وجف الضرع، وضاقت الأحوال على الناس.

ولأن يوسف عليه السلام نفذ خطة دقيقة تقوم على تخزين الغلال وترشيد الاستهلاك، بقيت مصر تمتلك من الأقوات ما يكفي أهلها، بل أصبحت مقصدًا للبلاد المجاورة التي اشتدت بها المجاعة.

وهنا يظهر أثر التخطيط الرشيد، فالأزمات لا تُدار ساعة وقوعها فقط ، وإنما يُستعد لها قبل حدوثها، وهو ما فعله يوسف بإلهام من الله تعالى.

Edit with WPS Office

ثانيًا: امتداد المجاعة إلى أرض كنعان

لم تقتصر المجاعة على مصر، بل شملت بلاد الشام أيضًا، وكانت أرض كنعان من المناطق التي تأثرت بها.

وكان يعقوب عليه السلام يعيش مع أبنائه هناك، وقد واجهوا نقصًا شديدًا في الأقوات، حتى اضطروا إلى البحث عن الطعام خارج بلا دهم.

وقد شاع بين الناس أن مصر تبيع الغلال للوافدين، بعد أن نجحت في حفظ محاصيلها، فقرر أبناء يعقوب السفر إليها.

وفي هذا إشارة إلى أن حسن إدارة الدولة لا يقتصر نفعه على أهلها، بل يمتد أثره إلى الشعوب المجاورة، وأن الإدارة الصالحة قد تكون سببًا في إنقاذ أمم بأكملها.

ثالثًا: لماذا لم يذهب يعقوب بنفسه؟

كان يعقوب عليه السلام قد تقدم به العمر، وأثقل الحزن قلبه منذ فقد يوسف، فلم يكن قادرًا على السفر.

كما أن إدارة شؤون الأسرة كانت تقتضي بقاءه في موطنه، فأرسل أبناءه الأقوياء ليقوموا بهذه المهمة.

وهنا نلحظ جانبًا من حكمة يعقوب، إذ كان يوزع المسؤوليات داخل الأسرة بما يناسب قدرات كل فرد.

رابعًا: لماذا بقي بنيامين مع أبيه؟

لم يرسل يعقوب ابنه بنيامين مع إخوته في الرحلة الأولى، لأنه كان

Edit with WPS Office

أقرب أبنائه إلى قلبه بعد فقد يوسف، ولأنه أصبح موضع رعايته وعنايته.

وكان يعقوب يخشى أن يتكرر مع بنيامين ما حدث ليوسف، فما ز الت ذكرى الفقد حاضرة في قلبه، ولم تندمل جراحها مع مرور السنين.

وهذا يبين أن الأنبياء بشر، يحزنون ويتألمون، لكنهم يصبرون ولا يعترضون على قضاء الله.

خامسًا: دخول الإخوة على يوسف

وصل إخوة يوسف إلى مصر مع القوافل القادمة لشراء الطعام، ودخلوا على العزيز المسؤول عن توزيع الغلال، وهو يوسف عليه الس لام.

قال تعالى:

﴿فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾.

وهذه الآية القصيرة تحمل معاني كثيرة.

فقد عرفهم يوسف منذ اللحظة الأولى، لأنهم كانوا قد بلغوا رشدهم قبل فراقه، فلم تتغير هيئاتهم تغيرًا كبيرًا.

أما هم فلم يعرفوه لأسباب عديدة، منها:

أنهم آخر مرة رأوه كان غلامًا صغيرًا.

ظنهم أنه قد هلك أو مات.

Edit with WPS Office

مرور سنوات طويلة على الحادثة.

تغير هيئته ولباسه ومنزلته.

تحدثه بلسان أهل مصر وإدارته لشؤون الدولة.

ومن حكمة الله أن يحجب عنهم معرفته في تلك اللحظة، حتى تكتمل الأحداث وفق الخطة التي أرادها يوسف بإلهام من ربه.

سادسًا: مشاعر يوسف عند رؤية إخوته

لا شك أن يوسف عليه السلام حين رأى إخوته تذكر طفولته، والجب، وفراق أبيه، وسنوات الظلم والابتلاء.

ومع ذلك لم يندفع وراء مشاعره، ولم يُظهر غضبًا أو رغبة في الا نتقام، بل تمالك نفسه، وتعامل معهم بهدوء واتزان.

وهذه من أعظم صور كظم الغيظ، فإن الإنسان قد يستطيع العفو بعد الاعتذار، أما أن يملك نفسه عند أول لقاء بمن ظلمه، فذلك من كمال ا لإيمان ورجاحة العقل.

وقد ربّى الله يوسف خلال سنوات الابتلاء حتى صار قادرًا على التحكم في انفعالاته، وتقديم المصلحة الكبرى على المشاعر الآنية.

سابعًا: لماذا أخفى يوسف شخصيته؟

قد يتساءل القارئ: لماذا لم يقل لهم منذ اللحظة الأولى: "أنا يوسف" ؟

والجواب أن يوسف كان يتحرك وفق خطة حكيمة، هدفها:

Edit with WPS Office

جمع شمل الأسرة كاملة.

إعادة أخيه بنيامين إليه.

اختبار حال إخوته، وهل تغيروا عما كانوا عليه.

تهيئة نفوسهم للاعتراف بخطئهم والتوبة منه.

إدخال السرور على أبيه بطريقة تحقق المقصود كله.

ولو كشف شخصيته منذ اللقاء الأول، لما تحققت هذه المقاصد، وربما عادوا مسرعين دون أن تكتمل أسباب الاجتماع.

ثامنًا: الفوائد العقدية والتربوية

تتضمن هذه المرحلة جملة من الدروس العظيمة، منها:

أن تدبير الله أعظم من تدبير البشر.

أن الصبر الطويل يثمر فرجًا وتمكينًا.

أن المؤمن لا يجعل الجراح القديمة تدفعه إلى الانتقام.

أن التخطيط السليم سبب في تجاوز الأزمات.

أن القائد الناجح يجمع بين الحكمة والحزم والرحمة.

أن الله قد يجمع الأحبة بعد طول فراق إذا شاء سبحانه.

خاتمة المبحث

كان دخول إخوة يوسف على أخيهم بداية مرحلة جديدة من مراحل القصة، فقد وقفوا بين يدي من ظلموه يومًا، وهم لا يشعرون. أما

Edit with WPS Office

يوسف، فقد وقف موقف الواثق بوعد الله، فلم يستعمل سلطانه في التشفي، ولم يجعل من منصبه وسيلة للانتقام، وإنما بدأ يرسم بحكمة وروية طريق الإصلاح ولمّ الشمل.

وهكذا تتجلى أخلاق الأنبياء؛ فهم إذا قدروا عفوا، وإذا تمكنوا أصلحوا، وإذا انتصروا لم ينسوا فضل الله عليهم. وكان هذا اللقاء هو الخطوة الأولى نحو تحقق الرؤيا التي رآها يوسف صغيرًا، والتي ستكتمل فصولها في الأحداث التالية من السورة.

المبحث الثاني

الحوار بين يوسف عليه السلام وإخوته وطلب إحضار بنيامين

دراسة تفسيرية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۝ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ [يوسف: 59-61].

تمهيد

Edit with WPS Office

بعد أن عرف يوسف عليه السلام إخوته ولم يعرفوه، لم يكشف لهم عن شخصيته، بل بدأ يدير الموقف بحكمة بالغة، واضعًا خطة متدرجة تؤدي إلى اجتماع الأسرة كلها، وإعادة أخيه الشقيق بنيامين إليه، دون أن يحدث اضطرابًا أو خوفًا لدى إخوته أو والده.

وكان يوسف في كل خطوة يوازن بين العاطفة والعقل، وبين الشوق إلى أخيه وأبيه وبين الحكمة في تنفيذ ما ألهمه الله تعالى من تدبير.

أولًا: إكرام يوسف لإخوته

قال تعالى:

﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾.

أي: لما أعد لهم الطعام الذي جاءوا من أجله، وأعطاهم حقهم كاملًا من الغلال.

وقد كان يوسف عليه السلام يشرف بنفسه على توزيع الأقوات، حرصًا على العدل ومنع الظلم، خاصة في زمن المجاعة، حيث يكثر الطمع ويشتد التنافس على الطعام.

ويؤخذ من ذلك أن المسؤول ينبغي أن يتابع بنفسه الأمور المهمة، و لا يعتمد اعتمادًا كليًا على من دونه، إذا تعلق الأمر بحقوق الناس.

ثانيًا: الحوار الهادئ مع إخوته

تشير كتب التفسير إلى أن يوسف سألهم عن أحوالهم، وعن سبب قدومهم، وعدد أفراد أسرتهم، وهو أمر معتاد في مثل تلك الظروف، إذ كانت الدولة تنظم توزيع الطعام على الأسر بحسب عدد أفرادها.

Edit with WPS Office

فأخبروه أن لهم أبًا شيخًا كبيرًا، وأن لهم أخًا من أبيهم بقي مع والده، ولم يأت معهم.

وكان يوسف يصغي إلى حديثهم وقلبه يمتلئ شوقًا إلى معرفة أخبار أبيه وأخيه، لكنه لم يُظهر شيئًا من ذلك، محافظة على خطته.

وهنا تظهر قوة يوسف في ضبط مشاعره؛ فليس كل ما يشعر به الإنسان يُظهره، بل قد يكون كتمان المشاعر أحيانًا من تمام الحكمة.

ثالثًا: لماذا طلب يوسف إحضار بنيامين؟

قال تعالى:

﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾.

لم يكن هذا الطلب لمجرد الرغبة في رؤية أخيه، وإن كان ذلك من أعظم مقاصده، بل كان وراءه حكم عديدة، منها:

1- الشوق إلى أخيه الشقيق

كان بنيامين أقرب الناس إلى يوسف؛ لأنهما من أم واحدة، وقد فرقت بينهما السنوات الطويلة، فاشتاق يوسف إلى لقائه.

2- الاطمئنان على حاله

أراد يوسف أن يتأكد أن أخاه لم يتعرض لما تعرض له هو من ظلم إخوته.

3- جمع شمل الأسرة

كان يوسف يعلم أن لقاء الأسرة كاملة لن يتم إلا إذا حضر بنيامين،

Edit with WPS Office

ثم جاء بعد ذلك والده يعقوب عليه السلام.

4- اختبار إخوته

أراد يوسف أن يرى: هل تغيرت نفوسهم؟ وهل أصبحوا أوفى وأرحم مما كانوا عليه في صغرهم؟ أم لا يزال الحسد يملأ قلوبهم؟

وهذا الاختبار لم يكن بدافع الانتقام، وإنما تمهيدًا للمصالحة الكاملة.

رابعًا: أسلوب يوسف في الإقناع

قال لهم:

﴿ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾.

جمع يوسف بين الترغيب والترهيب.

فذكّرهم أولًا بحسن معاملته لهم، وأنه لم يبخسهم حقهم، بل أكرمهم وأحسن ضيافتهم.

وفي هذا تعليم للدعاة والقادة أن يبدأوا باللين والإحسان قبل استعمال الشدة.

خامسًا: الحزم عند الحاجة

ثم قال:

﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾.

وهذا ليس تهديدًا ظالمًا، وإنما تنظيم إداري يحقق الهدف الذي أراده.

فالحزم لا يناقض الرحمة، بل قد يكون من تمامها إذا كان يحقق

Edit with WPS Office

مصلحة راجحة.

وقد جمع يوسف بين اللطف في البداية، والحزم في النهاية، وهو من صفات القائد الناجح.

سادسًا: موقف الإخوة

قالوا:

﴿سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾.

أي: سنبذل كل جهد لإقناع والدنا بإرساله معنا.

وكانوا يدركون أن يعقوب لن يوافق بسهولة؛ لأنه ما زال يعيش ألم فقد يوسف، ويخشى على بنيامين كما خشي من قبل على أخيه.

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من القصة، عنوانها محاولة استعادة ثقة الأب التي فقدوها منذ سنوات.

سابعًا: اللطائف البلاغية

من بلاغة القرآن قوله:

﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾.

فلم يقل: "ائتوني بأخي"، مع أنه أخوه، وذلك حتى لا يثير الشكوك، وليبقى الحديث طبيعيًا في نظرهم.

كما أن قوله:

﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾

Edit with WPS Office

جاء بصيغة الاستفهام، ليجعلهم هم الذين يشهدون بعدله وإحسانه، وهو أبلغ من أن يمدح الإنسان نفسه مباشرة.

ثامنًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم ما يستفاد من هذا الموقف:

أن الحكمة تقتضي أحيانًا التدرج في كشف الحقائق.

جواز استعمال الوسائل المشروعة لتحقيق المقاصد الحسنة.

أهمية الجمع بين الرحمة والحزم.

أن القيادة الناجحة تقوم على حسن المعاملة مع وضوح الأنظمة.

أن الإصلاح الأسري يحتاج إلى صبر وتخطيط، لا إلى اندفاع وعاطفة مجردة.

أن الله يدبر لعباده الصالحين من حيث لا يشعرون.

تاسعًا: أقوال المفسرين

ذكر الإمام ابن كثير أن يوسف عليه السلام لم يطلب إحضار بنيامين رغبة في التشديد على إخوته، وإنما أراد أن يطمئن على أخيه، وأن يجعل ذلك سببًا لاجتماع الأسرة كلها.

وأشار الإمام الطبري إلى أن اشتراط يوسف إحضار بنيامين كان من حسن تدبيره، إذ لم يكن يريد ظلم إخوته، وإنما كان يسير وفق خطة تحقق مصلحة الجميع.

وذكر الإمام القرطبي أن في الآيات دليلًا على جواز اتخاذ الإجراءات

Edit with WPS Office

الإدارية التي تحفظ المصلحة العامة، إذا كانت قائمة على العدل وخالية من الظلم.

خاتمة المبحث

يكشف هذا الحوار عن جانب عظيم من شخصية يوسف عليه السلام ؛ فهو القائد الحكيم الذي يجمع بين الرحمة والحزم، وبين العاطفة وحسن التدبير. لقد كان يستطيع أن يعلن لهم حقيقته منذ اللحظة الأ ولى، لكنه آثر أن تسير الأحداث وفق الحكمة التي ألهمه الله إياها، حتى تتهيأ القلوب لاستقبال الحقيقة، ويكون اللقاء الأخير لقاءً تُمحى فيه آثار الماضي، وتُبنى فيه جسور الصفح والمودة من جديد.

وبذلك بدأت الخطوة الثانية في طريق لمّ شمل أسرة يعقوب عليه السلام، وهي خطوة ستقود إلى أحداث أعظم، يظهر فيها صدق التوبة، وكمال عفو يوسف، وتحقيق وعد الله الذي بشّر به نبيه منذ صغره.

المبحث الثالث

إعادة يوسف عليه السلام بضاعتهم إلى رحالهم وعودة الإخوة إلى

Edit with WPS Office

يعقوب عليه السلام

دراسة تفسيرية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: 62-65].

تمهيد

بعد أن انتهى يوسف عليه السلام من استقبال إخوته وإكرامهم، ووضع الأساس للقاء القادم بطلب إحضار بنيامين، اتخذ خطوة أخرى تدل على سمو أخلاقه، وبعد نظره، وحكمته في معالجة المواقف؛ إذ أمر برد ثمن الطعام إلى أمتعتهم دون علمهم.

ولم يكن هذا التصرف مجرد كرم، بل كان جزءًا من خطة متكاملة أراد بها أن يشجعهم على العودة مرة أخرى، وأن يخفف عن أبيه وأهل بيته آثار المجاعة، وأن يفتح باب الألفة قبل أن يكشف لهم عن شخصيته.

أولًا: رد البضاعة إلى رحالهم

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾.

والبضاعة هي ما جاء به إخوة يوسف من أموال أو متاع ليشتروا به الطعام، أما الرحال فهي الأوعية والأمتعة التي كانوا يحملون فيها أقواتهم.

وقد أمر يوسف خدمه أن يضعوا أثمان الطعام في أمتعتهم سرًا، حتى لا يشعروا بذلك إلا بعد وصولهم إلى ديارهم.

ويظهر في هذا التصرف ذكاء يوسف عليه السلام؛ لأنه لو رد إليهم أموالهم أمامهم لربما رفضوا أخذها، أو ظنوا أنها هبة مؤقتة، أما إخفاؤها في رحالهم فيدفعهم إلى التفكير في العودة وإعادة الحق إلى صاحبه، أو على الأقل يشعرهم بكرم العزيز وعدله.

ثانيًا: الحكمة من رد البضاعة

ذكر المفسرون عدة حكم لهذا التصرف، منها:

1- تشجيعهم على العودة

قال تعالى:

﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾.

أي: إذا وجدوا أموالهم قد أعيدت إليهم، رغبوا في العودة إلى مصر، سواء لردها أو لشراء الطعام مرة أخرى.

2- التخفيف عن الأسرة

كانت أسرة يعقوب تعيش ظروفًا صعبة بسبب المجاعة، فأراد يوسف

Edit with WPS Office

أن يخفف عنهم العبء المالي، مع بقاء كرامتهم محفوظة.

3- إظهار مكارم الأخلاق

لم يحمل يوسف في قلبه حقدًا على إخوته، رغم ما فعلوه به، بل قابل إساءتهم بالإحسان، تحقيقًا لقوله تعالى:

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾.

4- التمهيد للمصالحة

الإحسان يلين القلوب، ويزيل كثيرًا من أسباب العداوة، ولذلك كانت هذه الخطوة تمهيدًا لما سيأتي من اعتراف الإخوة بخطئهم وطلبهم العفو.

ثالثًا: رجوع الإخوة إلى أبيهم

عاد الإخوة إلى أرض كنعان، وقد حملوا الطعام الذي تحتاج إليه الأسرة، لكنهم كانوا يحملون أيضًا طلب العزيز بإحضار بنيامين.

فلما دخلوا على أبيهم قالوا:

﴿يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون﴾.

أي: إن العزيز أخبرنا أنه لن يعطينا طعامًا مرة أخرى إلا إذا جاء معنا أخونا بنيامين.

ويلاحظ أنهم أكدوا حرصهم على حفظه، إدراكًا منهم أن أباهم لا يزال متأثرًا بما وقع ليوسف.

رابعًا: موقف يعقوب عليه السلام

Edit with WPS Office

جاء رد يعقوب حاسمًا ومؤثرًا:

﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾.

بهذه الكلمات أعاد يعقوب أبناءه إلى الماضي، وذكرهم بخطئهم الكبير.

إنها ليست كلمات غضب، بل كلمات أبٍ مجروح، ما زال يتذكر لحظة خروج يوسف مع إخوته، ثم عودتهم بقميصه ملطخًا بالدم الكاذب.

وهذا يدل على أن الجراح النفسية قد تبقى سنوات طويلة، لكن المؤمن يضبطها بالإيمان والصبر.

خامسًا: التوكل الحق

قال يعقوب:

﴿فاللّٰه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين﴾.

وهذه من أعظم كلمات التوكل في القرآن الكريم.

فلم يعتمد يعقوب على قوة أبنائه، ولا على وعودهم، وإنما فوّض أمر ابنه إلى اللّٰه تعالى.

ولم يمنعه ذلك من الأخذ بالأسباب فيما بعد، فالتوكل في الإسلام لا يعني ترك الأسباب، وإنما يعني الاعتماد على اللّٰه مع فعل ما يستطيع الإنسان من الوسائل المشروعة.

وقد كان يعقوب مثالًا في الجمع بين الإيمان العميق والحكمة العملية.

Edit with WPS Office

سادسًا: اكتشاف البضاعة

قال تعالى:

﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم﴾.

فلما فتحوا أوعيتهم وجدوا أن أثمان الطعام قد أعيدت كاملة.

فدهشوا لهذا الموقف، وأدركوا أن العزيز ليس رجلًا جشعًا، بل يتعامل بكرم وعدل.

ورأوا في ذلك فرصة لإقناع أبيهم؛ إذ قالوا:

﴿يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾.

أي: أيُّ إحسان بعد هذا الإحسان؟ لقد أعاد إلينا أموالنا، وأكرمنا، ولا بد أن نعود إليه.

سابعًا: اللطائف البلاغية

من لطائف التعبير القرآني قوله:

﴿لعلهم يرجعون﴾.

فلم يقل: "ليعودوا"، وإنما استعمل لفظ «لعل» الذي يفيد الرجاء بالنسبة إلى المخاطبين، أما علم الله فمحيط بكل شيء.

وفي قوله:

﴿فالله خير حافظًا﴾

إيجاز بليغ جمع بين التوكل، والثقة بالله، والاعتراف بعجز البشر

Edit with WPS Office

مهما بذلوا من أسباب.

ثامنًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم الفوائد المستفادة:

الإحسان إلى المسيء من أخلاق الأنبياء.

التخطيط الحكيم لا ينافي صفاء القلب.

الكرم من أسباب تأليف القلوب.

التوكل الحق يجمع بين الاعتماد على الله والأخذ بالأسباب.

الأسرة تقوم على الثقة، وإذا فُقدت احتاجت إلى زمن طويل حتى تعود.

الاعتراف بالأخطاء السابقة بداية الإصلاح الحقيقي.

تاسعًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: إن يوسف رد إليهم بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم، وأقرب إلى قبول أبيهم إرسال بنيامين معهم.

وقال الإمام الطبري: إن في هذا التصرف دليلًا على كمال عقل يوسف، إذ جمع بين الإحسان وحسن التدبير.

وقال الإمام القرطبي: تضمنت الآيات جواز استعمال الوسائل المباحة لتحقيق المصالح، إذا خلت من الظلم والخداع المحرم.

خاتمة المبحث

Edit with WPS Office

يكشف هذا المشهد عن جانب جديد من عظمة يوسف عليه السلام؛ فقد كان قادرًا على أن يقابل الإساءة بمثلها، لكنه اختار طريق الإحسان، لأنه يعلم أن إصلاح القلوب أعظم من معاقبة الأجساد.

كما يبرز لنا شخصية يعقوب عليه السلام، ذلك النبي الصابر الذي لم تمنعه مرارة الماضي من التوكل على الله، ولم تجعله الثقة بالله يترك الأخذ بالأسباب.

وهكذا تتقدم أحداث القصة خطوة جديدة نحو النهاية السعيدة، حيث تبدأ الثقة المفقودة في العودة، وتتهيأ الأسرة للرحلة الثانية إلى مصر، وهي الرحلة التي ستشهد لقاء يوسف بأخيه بنيامين، وتمهد لكشف الحقيقة أمام الجميع، حتى تتحقق رؤيا يوسف التي رآها في صباه، ويظهر وعد الله لعباده الصابرين.

المبحث الرابع

الرحلة الثانية إلى مصر ولقاء يوسف عليه السلام بأخيه بنيامين

دراسة تفسيرية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ

Edit with WPS Office

حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مّا كانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: 67-69].

تمهيد

بعد أن أخذ يعقوب عليه السلام على أبنائه العهد والميثاق بأن يحافظوا على بنيامين، أذن له بالسفر معهم إلى مصر. وكانت هذه الرحلة تختلف عن الرحلة الأولى؛ فقد خرج الإخوة هذه المرة يحملون في أعناقهم عهدًا غليظًا، كما خرج يوسف عليه السلام ينتظر لقاء أخيه الشقيق الذي فارقه منذ سنوات طويلة.

وكانت إرادة الله تمضي بخطوات ثابتة نحو تحقيق الرؤيا التي رآها يوسف في طفولته، حتى يكتمل وعد الله، ويجتمع شمل الأسرة بعد طول الفراق.

أولًا: وصية يعقوب لأبنائه

قال تعالى:

﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾.

وقف يعقوب عليه السلام يوصي أبناءه وصية الأب المشفق، فنصحهم ألا يدخلوا مدينة مصر جميعًا من باب واحد، بل يتفرقوا عند الدخول.

وقد ذكر العلماء عدة حكم لهذه الوصية، من أشهرها:

Edit with WPS Office

الخوف عليهم من العين؛ لأنهم كانوا ذوي هيئة حسنة وقوة.

الاحتياط من أن يلفت اجتماعهم انتباه الناس أو رجال السلطة.

الأخذ بالأسباب التي تدفع الضرر مع الاعتماد على الله.

وهذا يدل على أن الإسلام يدعو إلى الاحتياط المشروع، دون الوقوع في الخرافة أو الوهم.

ثانيًا: الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل

بعد أن أوصاهم بهذه الوصية قال:

﴿وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾.

وهذه من أعظم الآيات في بيان حقيقة التوكل.

فقد أخذ يعقوب بالأسباب الممكنة، ثم أعلن أن الأسباب وحدها لا تملك نفعًا ولا ضرًا إلا بإذن الله.

فليس المقصود من الأسباب أنها تخلق النتائج، وإنما هي وسائل جعلها الله أسبابًا، أما النافع والضار على الحقيقة فهو الله وحده.

وهذا هو التوازن الذي جاءت به الشريعة؛ فلا اعتماد على الأسباب وحدها، ولا ترك لها بحجة التوكل.

ثالثًا: تنفيذ الأبناء لوصية أبيهم

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾.

امتثل الأبناء أمر أبيهم، ودخلوا مصر من أبواب متفرقة كما أوصاهم.

لكن القرآن يقرر في الوقت نفسه حقيقة عقدية عظيمة، وهي أن هذا السبب لم يكن ليمنع قضاء الله لو أراد سبحانه وقوعه.

فالنتائج كلها بيد الله، أما الأسباب فهي من تمام العبودية لله.

رابعًا: ثناء الله على يعقوب

قال تعالى:

﴿وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وهذا ثناء كريم من الله على نبيه يعقوب.

فقد كان يعلم كيف يجمع بين الأخذ بالأسباب، وكمال التوكل، ولم يكن تصرفه صادرًا عن خوف مذموم، وإنما عن حكمة علّمه الله إياها.

وفي هذا بيان لفضل العلم الشرعي، وأنه يهدي صاحبه إلى التوازن و الاعتدال.

خامسًا: اللقاء المؤثر بين يوسف وبنيامين

قال تعالى:

﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾.

Edit with WPS Office

كانت هذه أول مرة يرى فيها يوسف أخاه الشقيق منذ أن افترقا وهما صغيران.

ولا شك أن هذا اللقاء كان مليئًا بالمشاعر، فقد اجتمع أخوان فرقت بينهما السنون، وجمعت بينهما رحمة الله بعد طول انتظار.

ومع ذلك، لم يُظهر يوسف هذه المشاعر أمام إخوته، حتى لا تنكشف خطته قبل أوانها.

وهذا يدل على كمال حكمته، وضبطه لعواطفه.

سادسًا: كشف يوسف شخصيته لبنيامين

قال يوسف لأخيه سرًا:

﴿إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾.

أي: لا تحزن ولا تأسَ على ما صنعه إخوتنا بنا في الماضي، فقد انتهى زمن المحنة، وبدأت مرحلة الفرج.

وكان لهذا الخبر أثر بالغ في قلب بنيامين؛ فقد وجد أخاه حيًا، وعلم أن الله حفظه وأكرمه، بعد أن كان يظنه مفقودًا.

كما طمأنه يوسف إلى أن ما سيجري بعد ذلك إنما هو جزء من تدبير حكيم، فلا يخف ولا يضطرب.

سابعًا: اللطائف البلاغية

من أجمل ما في الآيات قوله تعالى:

﴿آوى إليه أخاه﴾.

Edit with WPS Office

فالقرآن لم يقل: "احتضنه" أو "جلس معه"، بل استعمل لفظ «آوى»، وهو لفظ يدل على الضم مع الأمان والطمأنينة، فكأن يوسف لم يضم أخاه إلى مكانه فحسب، بل ضمه إلى قلبه، وأزال عنه وحشة السنين.

وقوله:

﴿فلا تبتئس﴾ أبلغ من مجرد النهي عن الحزن؛ لأنه يتضمن إزالة الهم والضيق واليأس جميعًا.

ثامنًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم الفوائد المستفادة:

مشروعية الأخذ بالأسباب مع كمال التوكل.

أن الأسباب لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى.

عناية الوالد بأبنائه من تمام الرحمة.

فضل كتمان الأمر حتى يحين وقته إذا ترتبت على ذلك مصلحة راجحة.

أن الفرج بعد الصبر يكون أعظم أثرًا في النفس.

أن الله يجبر خواطر عباده الصالحين بعد طول الابتلاء.

تاسعًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: إن يعقوب أمر أبناءه بالتفرق عند دخول مصر خوفًا من إصابتهم بالعين، مع اعتقاده الجازم أن الحفظ بيد الله

Edit with WPS Office

وحده.

وقال الإمام الطبري: إن قوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ يدل على كمال توحيد يعقوب، وأنه لم يعتمد على السبب، وإنما أخذه امتثالًا لما يقتضيه العقل والحكمة.

وقال الإمام القرطبي: في هذه الآيات دليل على أن الاحتياط المشروع لا ينافي التوكل، بل هو من تمامه.

خاتمة المبحث

يمثل هذا اللقاء بداية انفراج العقدة الكبرى في قصة يوسف عليه السلام، فقد عاد الأخوان الشقيقان إلى الاجتماع بعد سنوات طويلة من الفراق، وبدأت خيوط القصة تقترب من نهايتها السعيدة. كما أبرزت الآيات منهج الإسلام في التوازن بين الأخذ بالأسباب والا عتماد على الله، وأظهرت حكمة يعقوب في تربية أبنائه، وحكمة يوسف في إدارة الأحداث حتى يكتمل الإصلاح، وتعود الأسرة إلى وحدتها، وتتحقق الرؤيا التي وعد الله بها نبيه الكريم.

المبحث الخامس

Edit with WPS Office

السقاية في رحل بنيامين واحتجازه في مصر

دراسة تفسيرية وفقهية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۝ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۝ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۝ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 70-76].

تمهيد

بعد أن اجتمع يوسف عليه السلام بأخيه بنيامين، أراد أن يبقيه معه في مصر، لكنه لم يشأ أن يفعل ذلك بطريق الظلم أو مخالفة القانون، بل دبّر الأمر بوحي من الله تعالى، حتى يتحقق المقصود من غير اعتداء على أحد.

ويعد هذا المشهد من أكثر مشاهد السورة دقةً وإحكامًا، إذ يجمع بين حسن التدبير، وإظهار حكمة الله في تسيير الأحداث، مع المحافظة على العدل وعدم الإضرار بالأبرياء.

أولًا: وضع السقاية في رحل بنيامين

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه﴾.

والسقاية - أو الصواع - إناءٌ كان يُستخدم للشرب أو لقياس الغلال، وكان من ممتلكات الملك.

وقد اختلف المفسرون في مادته؛ فقيل: كان من الذهب، وقيل: من الفضة، والمقصود ليس نوع الإناء، وإنما ما ترتب على وجوده في رحل بنيامين.

وقد تم ذلك بأمر الله تعالى وإلهامه لنبيه يوسف، وليس بدافع الخداع المحرم أو الظلم.

ثانيًا: النداء على القافلة

قال تعالى:

﴿ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾.

بعد تحرك القافلة، نادى المنادي بهذا النداء.

وقد استشكل بعض الناس هذه الآية، فقالوا: كيف يُنسب إلى إخوة يوسف أنهم سارقون وهم لم يسرقوا؟

وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة، منها:

أن المنادي لم يكن يعلم حقيقة الأمر، وإنما نادى بما ظهر له.

أن المقصود سرقة الصواع بحسب الظاهر.

Edit with WPS Office

وقيل: إن في اللفظ تعريضًا بسرقتهم يوسف من أبيه قديمًا، لا اتهامًا لهم بسرقة لم تقع منهم.

والراجح أن يوسف لم يكذب، ولم يظلم أحدًا، وإنما جرت الأحداث وفق تدبير مشروع أوحى الله به إليه.

ثالثًا: دفاع الإخوة عن أنفسهم

قال تعالى:

﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾.

كان الإخوة واثقين من براءتهم، ولذلك أقسموا بالله أنهم لم يأتوا للإفساد، وأنهم معروفون بالأمانة في معاملاتهم.

ومن اللافت أنهم استدلوا بسيرتهم السابقة في مصر، فقد عرف العزيز منهم حسن التعامل في الرحلة الأولى، فلم يكن من المعقول أن يخونوا بعد ذلك.

وهذا يبين قيمة السمعة الطيبة، وأن حسن السيرة يكون سببًا في تصديق الإنسان عند وقوع الشبهات.

رابعًا: الحكم الذي اختاره الإخوة

سألهم رجال يوسف:

﴿فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾.

فأجابوا:

﴿جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾.

Edit with WPS Office

أي: أن من وُجدت المسروقات في متاعه يصبح هو الجزاء، أي يُسترق أو يُحتجز، وكان هذا هو الحكم المعروف في شريعة آل يعقوب، لا في قانون مصر.

وهنا تظهر حكمة يوسف؛ إذ لم يفرض عليهم حكمًا من عنده، وإنما جعلهم هم الذين يقررون العقوبة.

خامسًا: بداية التفتيش

قال تعالى:

﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾.

بدأ التفتيش بأمتعة الإخوة واحدًا بعد الآخر، حتى يبتعد عن موضع الشبهة، ثم انتهى إلى وعاء بنيامين، فوجدت السقاية فيه.

وكان ترتيب التفتيش في غاية الحكمة؛ لأنه لو بدأ ببنيامين مباشرة، لاتهمه إخوته بتدبير الأمر.

وهذا يعلمنا أن القاضي أو المسؤول ينبغي أن يتجنب كل ما يثير الريبة في أحكامه وإجراءاته.

سادسًا: معنى قوله تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾

هذه الآية من الآيات العظيمة في السورة.

فالمقصود بالكيد هنا: التدبير المحكم الذي أوحى الله به إلى يوسف لتحقيق مصلحة مشروعة.

وليس المراد بالكيد هنا الخداع أو المكر المذموم، لأن الكيد إذا نُسب

Edit with WPS Office

إلى الله فهو بمعنى التدبير الحكيم الذي يبطل به الباطل ويظهر به الحق.

وقد كان يوسف عاجزًا عن إبقاء أخيه في مصر وفق قانون الملك، فجاءت الحكمة الإلهية بهذا التدبير المشروع.

سابعًا: قوله تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾

أي: لم يكن قانون مصر يسمح باحتجاز بنيامين بهذه الصورة، لكن الله هيأ سببًا مشروعًا لذلك، وهو أن الإخوة هم الذين قبلوا الاحتكام إلى شريعتهم.

وفي هذا دليل على أن الله إذا أراد أمرًا هيأ له أسبابه، وسخر له من الوسائل ما يحقق حكمته.

ثامنًا: فضل العلم

قال تعالى:

﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾.

ختم الله هذا الموقف بهذه القاعدة العظيمة.

فالإنسان مهما بلغ من العلم، يبقى فوقه من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم كله إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي الآية دعوة إلى التواضع، وترك الغرور بالعلم، والاستمرار في طلب المعرفة.

Edit with WPS Office

تاسعًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم ما يستفاد من هذه الآيات:

أن الله يدبر لعباده المؤمنين ما فيه الخير.

أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

وجوب العدل في الإجراءات والتحقيقات.

أهمية المحافظة على السمعة الحسنة.

أن العلم نعمة تستوجب التواضع.

أن الحكمة في معالجة المشكلات تحقق ما لا تحققه العجلة.

عاشرًا: أقوال المفسرين

ذكر الإمام ابن كثير أن قوله تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي: علّمناه هذا التدبير الذي يحقق بقاء أخيه معه من غير ظلم ولا مخالفة لما أذن الله به.

وقال الإمام الطبري: لم يكن في فعل يوسف كذب ولا خيانة، وإنما كان تنفيذًا لما ألهمه الله من أسباب تؤدي إلى المصلحة.

وقال الإمام القرطبي: في الآية دليل على جواز استعمال الحيل المشروعة التي تحقق الحق وتمنع الظلم، إذا خلت من الاعتداء وأُقرت شرعًا.

خاتمة المبحث

Edit with WPS Office

يكشف هذا الموقف عن جانب عظيم من حكمة يوسف عليه السلام، فقد جمع بين الذكاء، والعدل، والرحمة، فلم يلجأ إلى القوة أو الظلم ليحتفظ بأخيه، بل انتظر تدبير الله، فسخر له من الأسباب ما حقق المقصود دون أن يخرج عن حدود الحق.

كما تؤكد الآيات أن إرادة الله نافذة فوق إرادة البشر، وأن من توكل على الله، وسلك الطريق المشروع، جعل الله له من أمره يسرًا، وفتح له أبوابًا من الخير لا تخطر على بال.

وبهذا تنتقل القصة إلى مرحلة جديدة، حيث سيواجه الإخوة اختبارًا قاسيًا يكشف حقيقة ما استقر في قلوبهم من ندم وتوبة، وهو ما سنتناوله في المبحث السادس: موقف الإخوة بعد احتجاز بنيامين، وشفاعة الأخ الأكبر، وظهور آثار التوبة الصادقة.

Edit with WPS Office

المبحث السادس

موقف الإخوة بعد احتجاز بنيامين وبقاء الأخ الأكبر في مصر

دراسة تفسيرية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۖ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ۝ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [يوسف: 78-80].

تمهيد

بعد أن عُثر على صواع الملك في رحل بنيامين، وأصبح الحكم يقضي ببقائه في مصر، وجد إخوة يوسف أنفسهم أمام امتحان جديد. فهذا الموقف يذكرهم بما صنعوه مع يوسف من قبل، ولكنه يكشف أيضًا عن تغير كبير في نفوسهم؛ فقد نضجت شخصياتهم، وأصبحوا أكثر إحساسًا بالمسؤولية، وأشد خوفًا من أن يعودوا إلى أبيهم بخبر فقد ابنٍ آخر.

وفي هذا المشهد تتجلى آثار التربية الإيمانية، فإن الإنسان قد يخطئ في شبابه، ثم يفتح الله عليه باب التوبة، فيتغير قلبه وسلوكه.

أولًا: استعطاف الإخوة ليوسف

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين﴾.

لم يدافع الإخوة عن بنيامين بادعاء القوة أو التهديد، بل خاطبوا يوسف بأدب واحترام، ووصفوه بالإحسان، ثم ذكروا حال أبيهم الشيخ الكبير الذي لا يحتمل فراق ابنه.

وهذا يدل على أنهم أصبحوا يدركون قيمة الأب، ويشعرون بما ألحقوه به من ألم حين فقد يوسف.

كما يدل على أن حسن الخطاب ولين الكلام من أسباب قبول الطلب، وإن لم يتحقق المطلوب.

ثانيًا: عدل يوسف عليه السلام

قال يوسف:

﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون﴾.

بدأ جوابه بالاستعاذة بالله، إعلانًا لبراءته من كل ظلم، ثم بيّن أن العدالة تقتضي ألا يُؤخذ بريء بذنب غيره.

وفي هذا تقرير لقاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، وهي أن المسؤولية شخصية، فلا يؤاخذ إنسان بجريرة غيره، كما قال تعالى:

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

وقد كان يوسف قادرًا على أن يوافقهم، لكنه رفض لأن العدل مقدم

Edit with WPS Office

على العاطفة.

ثالثًا: تغير نفوس الإخوة

من يتأمل هذا المشهد ويقارنه بما وقع في أول القصة، يدرك الفرق الكبير بين حال الإخوة آنذاك وحالهم الآن.

فقد كانوا في الماضي يتنافسون على التخلص من يوسف، أما اليوم فإن كل واحد منهم يعرض أن يبقى مكان بنيامين، حفاظًا عليه ورحمة بأبيهم.

وهذا التحول شاهد على أن التوبة الصادقة تغير النفوس، وأن التجارب والابتلاءات قد تكون سببًا في إصلاح الإنسان.

رابعًا: اجتماعهم للتشاور

قال تعالى:

﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًا﴾.

أي: لما أيقنوا أن العزيز لن يغير حكمه، انفردوا يتشاورون فيما بينهم بعيدًا عن الناس.

وهذا يدل على أهمية الشورى عند نزول الأزمات، وأن القرارات الكبرى لا ينبغي أن تصدر عن انفعال أو ارتجال.

كما يظهر احترامهم للأخ الأكبر، إذ كان هو الذي يقود النقاش ويوجه إخوته.

خامسًا: موقف الأخ الأكبر

Edit with WPS Office

قال كبيرهم:

﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾.

تذكّر الأخ الأكبر العهد الذي قطعه على نفسه أمام أبيه، كما تذكر الجريمة القديمة في حق يوسف، فاجتمع عليه همّ الماضي وهمّ الحاضر.

ثم قال:

﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾.

فقرر البقاء في مصر، لأنه استحيا أن يلقى أباه وقد ضيّع بنيامين كما ضاع يوسف من قبل.

وهذا القرار يعكس إحساسًا عميقًا بالمسؤولية، ويدل على أن التوبة ليست مجرد كلمات، بل تحمل صاحبها على تحمل نتائج أفعاله.

سادسًا: وصية الأخ الأكبر لإخوته

قال لهم:

﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾.

لم يطلب منهم الكذب أو إخفاء الحقيقة، بل أمرهم أن يذكروا ما شاهدوه، وأن يقروا بأنهم لا يعلمون الغيب.

Edit with WPS Office

وفي هذا درس عظيم في الصدق، وأن المؤمن لا يزيد في الأخبار و لا ينقص منها.

سابعًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

﴿معاذ الله﴾، جاء التعبير بصيغة الاستعاذة، وهي أبلغ في بيان النفرة من الظلم من مجرد قول: "لا أفعل".

وقوله:

﴿خلصوا نجيًا﴾ يصور اجتماعهم في مكان منفرد يتناجون فيه، بما يعكس شدة الحيرة والقلق التي سيطرت عليهم.

أما قوله:

﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾، ففيه تذكير بالماضي ليكون باعثًا على عدم تكرار الخطأ.

ثامنًا: الدروس العقدية والتربوية

يستفاد من هذه الآيات عدد من الدروس، منها:

العدل أساس الحكم، ولا يجوز معاقبة البريء بذنب غيره.

التوبة الصادقة تظهر آثارها في السلوك والعمل.

الشورى من أسباب حسن اتخاذ القرار.

الوفاء بالعهود من أخلاق المؤمنين.

Edit with WPS Office

تحمل المسؤولية من علامات النضج والإيمان.

الرحمة بالوالدين، ومراعاة مشاعرهما، من أعظم القربات إلى الله.

تاسعًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: لما رأى الإخوة أن يوسف لا يغير حكمه، اجتمعوا يتشاورون، وظهر فيهم الندم على ما سبق منهم في شأن يوسف.

وقال الإمام الطبري: إن بقاء الأخ الأكبر في مصر كان وفاءً بالعهد الذي أخذه عليه أبوه، وخوفًا من مواجهة يعقوب بخبر فقد بنيامين.

وقال الإمام القرطبي: في الآيات دليل على أن العدل لا يتغير بـ العواطف، وأن الحاكم لا يجوز له أن يستبدل عقوبة الجاني بعقوبة غيره، مهما كانت الدوافع.

خاتمة المبحث

يكشف هذا الموقف عن تحول عميق في شخصية إخوة يوسف؛ فقد خرجوا من دائرة الحسد والأنانية إلى دائرة المسؤولية والرحمة، وأصبح همّهم الأول ألا يتكرر الألم الذي أصاب أباهم من قبل.

وفي المقابل، يظهر يوسف عليه السلام مثالًا للحاكم العادل، الذي لا تدفعه عاطفته إلى الإخلال بالحق، ولا تمنعه رحمته من إقامة العدل.

وهكذا تمضي أحداث القصة نحو نهايتها، حيث يزداد شوق يعقوب إلى أبنائه، ويشتد البلاء، تمهيدًا للفرج العظيم الذي سيكشف الله فيه الحقيقة، ويجمع الأسرة بعد سنوات طويلة من الفراق، ويحقق رؤيا

Edit with WPS Office

يوسف التي كانت بداية هذه القصة المباركة.

المبحث السابع

رجوع الإخوة إلى يعقوب عليه السلام وصبره الجميل

دراسة تفسيرية وعقدية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۝ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 81-84].

Edit with WPS Office

تمهيد

بعد احتجاز بنيامين وبقاء الأخ الأكبر في مصر، عاد بقية الإخوة إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، وهم يحملون خبرًا جديدًا يزيد من آلامه وأحزانه. ولم يكن هذا الخبر مجرد فقد ابن آخر، بل كان امتحانًا جديدًا لنبي كريم طال عليه البلاء، حتى اجتمع عليه فراق يوسف، واحتجاز بنيامين، وغياب الابن الأكبر.

ومع ذلك كله لم يتزعزع يقين يعقوب بربه، ولم يفقد الأمل في رحمته، بل ازداد تعلقًا باللّٰه، وحسن ظن به، وضرب للناس أروع الأ مثلة في الصبر والرضا والتوكل.

أولًا: رجوع الإخوة إلى أبيهم

امتثل الإخوة لوصية أخيهم الأكبر، فرجعوا إلى أبيهم، وأخبروه بما وقع، وقالوا:

﴿يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾.

أي: إننا لم نقل إلا ما رأيناه بأعيننا، فقد وُجد صواع الملك في رحل بنيامين، ولم نكن نعلم أن هذا سيقع، ولم نكن نحيط بالغيب حتى نمنع وقوعه.

ويلاحظ أن الإخوة هذه المرة لم يختلقوا قصة كما فعلوا في شأن يوسف، بل نقلوا ما شاهدوه، وأكدوا أنهم لا يعلمون إلا ظاهر الأمر.

وهذا يدل على أن نفوسهم بدأت تتطهر من آثار الذنب القديم، وأصبح الصدق أقرب إلى سلوكهم.

Edit with WPS Office

ثانيًا: تأكيد صدقهم

قالوا:

﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾.

أي: اسأل أهل مصر الذين تعاملنا معهم، واسأل القافلة التي رافقتنا، فإن الجميع يشهد بصحة ما أخبرناك به.

وهذا من قوة حجتهم، إذ أحالوا إلى شهود يمكن التحقق منهم.

وفيه دليل على أن الإسلام يدعو إلى إقامة البينة، وعدم الاكتفاء بـ الدعاوى المجردة.

ثالثًا: موقف يعقوب عليه السلام

مع أن أبناءه أكدوا صدقهم، فإن يعقوب قال:

﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرًا﴾.

ولم يكن مقصوده اتهامهم بالكذب في كل ما قالوه، وإنما كان يشعر أن وراء الأحداث تدبيرًا خفيًا، وأن ما جرى لبنيامين ليس كما يبدو في ظاهره.

وقد بقيت تجربة يوسف حاضرة في قلبه، فلم يعد يسهل عليه أن يطمئن إلى رواية أبنائه.

ثم قال:

﴿فصبر جميل﴾.

Edit with WPS Office

وهذه الكلمة العظيمة تكررت منه عند فقد يوسف، ثم كررها هنا، لأنها أصبحت منهج حياته في مواجهة البلاء.

رابعًا: معنى الصبر الجميل

الصبر الجميل هو الصبر الذي لا يصاحبه اعتراض على قضاء الله، ولا شكوى للخلق على وجه التسخط، وإنما يلجأ صاحبه إلى الله بالدعاء والرجاء.

وليس معنى الصبر الجميل أن الإنسان لا يحزن، فالأنبياء يحزنون وتدمع أعينهم، ولكنهم لا يتجاوزون حدود الرضا بقضاء الله.

قال يعقوب:

﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا﴾.

فلم يقتصر أمله على بنيامين، بل شمل يوسف، وبنيامين، والأخ الأكبر الذي بقي في مصر.

وفي هذا من قوة الرجاء ما يدل على رسوخ إيمانه، وثقته المطلقة بوعد الله.

خامسًا: حسن الظن بالله

قال تعالى على لسان يعقوب:

﴿إنه هو العليم الحكيم﴾.

أي: إن الله يعلم حالي، ويعلم مكان أولادي، ويعلم ما خفي عن الناس ، وهو الحكيم الذي لا يقدر شيئًا إلا لحكمة عظيمة.

Edit with WPS Office

وهذا من أعظم مقامات الإيمان؛ أن يجمع العبد بين شدة البلاء، وكمال حسن الظن بالله.

سادسًا: الحزن على يوسف

قال تعالى:

﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف﴾.

لقد أعاد فقد بنيامين إلى ذاكرة يعقوب مصيبة يوسف الأولى، فانفجر الحزن الكامن في قلبه.

ولم يقل: "يا أسفى على بنيامين"، بل قال: ﴿على يوسف﴾؛ لأن الجرح الأول كان أعمق، ولأن ذكرى يوسف لم تغب عن قلبه يومًا واحدًا.

وفي هذا دليل على أن المحبة الصادقة لا تمحوها السنين.

سابعًا: ابيضاض عينيه من الحزن

قال تعالى:

﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾.

أي: ذهب بصره أو ضعف ضعفًا شديدًا بسبب كثرة البكاء والحزن.

ومع ذلك وصفه الله بقوله:

﴿فهو كظيم﴾.

أي: يكتم حزنه، ولا يشكو إلى الناس شكوى الساخط، وإنما يحمل

Edit with WPS Office

ألمه في قلبه، ويلجأ إلى ربه.

وقد جمع يعقوب بين رقة القلب، وقوة الإيمان، فكان مثالًا للصبر الجميل.

ثامنًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

﴿فصبر جميل﴾: حذفٌ بليغ، فكأن المعنى: فأمري صبر جميل، أو فشأني صبر جميل، للدلالة على أن الصبر أصبح وصفًا ملازمًا له.

وقوله:

﴿يا أسفى على يوسف﴾: جاء بصيغة النداء، وهو من أبلغ أساليب العربية في تصوير شدة الألم.

أما قوله:

﴿وابيضت عيناه﴾: فهو تصوير حسيٌ دقيق لأثر الحزن في الجسد، مما يدل على أن القرآن يجمع بين تصوير المشاعر وآثارها الواقعية.

تاسعًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم ما يستفاد من هذا الموقف:

الصبر الجميل من أعظم منازل الإيمان.

حسن الظن بالله عبادة قلبية عظيمة.

لا تعارض بين الحزن الطبيعي والرضا بقضاء الله.

Edit with WPS Office

إقامة البينة أصل من أصول العدل.

الشدائد تربي النفوس وتزكيها.

المؤمن لا ييأس من رحمة الله مهما طال البلاء.

الأسرة المؤمنة تبقى متماسكة رغم المحن إذا كان أساسها الإيمان.

عاشرًا: أقوال المفسرين

ذكر الإمام ابن كثير أن يعقوب عليه السلام لم يفقد رجاءه في الله، بل كان يوقن أن الله سيجمع شمله بأبنائه جميعًا، ولذلك قال: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا﴾.

وقال الإمام الطبري: إن قوله ﴿فهو كظيم﴾ يدل على كمال صبر يعقوب، إذ كتم حزنه ولم يجزع جزعًا ينافي الرضا بقضاء الله.

وقال الإمام القرطبي: في هذه الآيات بيان أن بكاء الإنسان من الحزن لا ينافي الصبر، ما دام قلبه راضيًا بقضاء الله ولسانه لا ينطق إلا بما يرضيه سبحانه.

خاتمة المبحث

يُعد هذا المشهد من أكثر مشاهد سورة يوسف تأثيرًا، فهو يرسم صورة نبي كريم أثقله البلاء، لكنه لم يفقد ثقته بربه، ولم ينقطع رجاؤه في رحمته. لقد كان يعقوب عليه السلام مدرسة في الصبر، ومثالًا للمؤمن الذي يعلم أن وراء كل محنة حكمة، وأن الفرج قد يتأخر، لكنه لا يغيب عن عباد الله الصابرين.

Edit with WPS Office

الفصل الثامن

Edit with WPS Office

انكشاف الحقيقة واجتماع شمل أسرة يعقوب عليه السلام

من البلاء إلى الفرج، ومن الفراق إلى اللقاء

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 88-100].

تمهيد

يمثل هذا الفصل خاتمة الأحداث الرئيسة في قصة يوسف عليه السلام، ففيه تتجلى رحمة الله تعالى بعد طول الابتلاء، ويظهر أثر الصبر والتقوى في نيل الفرج والتمكين. لقد بدأت القصة برؤيا غلام صغير، ثم مرت بمحطات متتابعة من المحن والشدائد، حتى ظن كثير من الناس أن طريق الفرج قد انقطع، ولكن الله سبحانه أجرى أقداره بحكمة بالغة، حتى تحققت الرؤيا كما رآها يوسف وهو غلام.

وفي هذا الفصل يلتقي الإخوة بيوسف للمرة الأخيرة قبل أن يكشف لهم عن شخصيته، ويعترفون بخطئهم، ويقابلهم بالعفو والصفح، ثم يعود البصر إلى يعقوب عليه السلام، وتجتمع الأسرة كلها في مصر، وتتحقق الرؤيا التي كانت بداية القصة ونهايتها.

ويظهر في هذه الأحداث أن القرآن لا يروي القصص لمجرد التسلية، وإنما ليغرس في النفوس اليقين بوعد الله، ويعلم المؤمن أن الصبر

Edit with WPS Office

مهما طال فإن عاقبته خير، وأن من اتقى الله وأحسن العمل فلن يضيعه الله أبدًا.

المبحث الأول

رجوع الإخوة إلى مصر وطلبهم المعونة من يوسف

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

أولًا: اشتداد المجاعة

استمرت سنوات القحط حتى اشتد أثرها على بلاد الشام، ونفدت الأقوات التي كانت عند يعقوب عليه السلام وأبنائه، ولم يعد أمامهم إلا العودة إلى مصر مرة أخرى.

وكانت هذه العودة مختلفة عن سابقاتها؛ فقد اجتمع عليهم الفقر، وفقد بنيامين، وغياب الأخ الأكبر، حتى أصبحت الأسرة كلها تعيش ضيقًا شديدًا.

وهكذا يبلغ البلاء ذروته قبل أن يأذن الله بالفرج، وهي سنة ربانية تتكرر في حياة الأنبياء والصالحين.

ثانيًا: معنى قوله تعالى: ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾

افتتح الإخوة كلامهم ببيان حالهم، فقالوا:

Edit with WPS Office

﴿مسنا وأهلنا الضر﴾.

والضر هنا يشمل الفقر، والجوع، وشدة الحاجة، وما ترتب على سنوات المجاعة من ضيق العيش.

ولم يقتصروا على ذكر أنفسهم، بل ذكروا أهلهم أيضًا، ليستثيروا الرحمة في قلب العزيز.

وفي هذا دليل على جواز بيان الحاجة عند طلب العون، إذا كان ذلك من غير مبالغة ولا كذب.

ثالثًا: البضاعة المزجاة

قالوا:

﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾.

أي: جئنا بثمن قليل ورديء، لا يساوي قيمة الطعام الذي نطلبه.

وقد ذكر المفسرون أن البضاعة المزجاة قد تكون دراهم قليلة، أو متاعًا بسيطًا، أو سلعًا لا يقبلها الناس إلا على كراهة.

والمقصود أنهم كانوا في غاية الفقر، حتى لم يستطيعوا توفير الثمن المعتاد.

وهذا يبين أن أحوال الدنيا تتقلب، وأن الغنى والفقر بيد الله وحده.

رابعًا: طلب الإحسان

قالوا:

Edit with WPS Office

﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾.

طلبوا أمرين:

أن يعطيهم حقهم كاملًا رغم ضعف بضاعتهم.

وأن يزيدهم من فضله وإحسانه.

ولم يكن هذا السؤال مذلة، بل كان سؤال مضطرين أنهكتهم الحاجة.

وقد أثنى الله على المتصدقين بقوله:

﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾.

وفي هذا تذكير بأن الصدقة ليست نقصًا في المال، بل سبب لنيل الأجر والبركة.

خامسًا: أثر كلماتهم في قلب يوسف

عندما سمع يوسف كلماتهم، ورأى ما وصل إليه حالهم، وما أصاب أباه من البلاء، رق قلبه لهم، وشعر أن الوقت قد حان لكشف الحقيقة.

لقد رأى أمامه إخوته الذين كانوا يومًا سببًا في محنته، فإذا هم اليوم يقفون بين يديه في غاية الضعف والانكسار، يطلبون منه الإحسان.

ولم يفرح يوسف بهذا المشهد، ولم يشمت بهم، بل غلبت عليه الرحمة، لأن قلب الأنبياء لا يعرف التشفي، وإنما يعرف العفو والإصلاح.

Edit with WPS Office

سادسًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

﴿مسنا وأهلنا الضر﴾، قُدم ذكر الضر قبل ذكر الطلب، لأن بيان الحاجة أدعى لقبول السؤال.

وقوله:

﴿بضاعة مزجاة﴾ جاء بوصفٍ واحد جمع معاني القلة والرداءة، فأغنى عن الإطالة في وصف حالهم.

أما قولهم:

﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾، فهو أسلوب رقيق في استثارة الرحمة، حيث ذكروا العزيز بثواب الله للمحسنين دون أن يلحوا في الطلب.

سابعًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم ما يستفاد من هذا الموقف:

أن الفرج يأتي غالبًا بعد اشتداد الكرب.

جواز طلب المساعدة عند الحاجة.

الحياء لا يمنع من سؤال ما تدعو إليه الضرورة.

فضل الصدقة والإحسان إلى المحتاجين.

المؤمن إذا قدر على الإحسان لم يمنعه ما وقع عليه من إساءة في الماضي.

Edit with WPS Office

تقلّب أحوال الدنيا يربي الإنسان على التواضع وعدم الاغترار.

ثامنًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: لما اشتدت المجاعة على آل يعقوب، عاد الإخوة إلى مصر، وقد بلغ بهم الفقر مبلغًا عظيمًا، فجاؤوا ببضاعة قليلة لا تساوي ثمن الطعام.

وقال الإمام الطبري: معنى ﴿بضاعة مزجاة﴾ أي بضاعة مدفوعة لرداءتها وقلة قيمتها.

وقال الإمام القرطبي: في الآية دليل على استحباب الرحمة بـ المحتاجين، والإحسان إلى من ضاقت بهم الأحوال، وأن الصدقة سبب لنيل الجزاء من الله.

خاتمة المبحث

بلغت القصة في هذا المشهد ذروة التأثير؛ فالإخوة الذين كانوا أصحاب قوة وسلطان على أخيهم أصبحوا اليوم يقفون بين يديه مسترحمين، بعد أن مستهم الحاجة وأذلتهم المجاعة. غير أن يوسف عليه السلام لم يقابل ضعفهم بالتشفي، بل قابلهم بقلب رحيم، ينتظر اللحظة المناسبة ليكشف لهم الحقيقة، ويطوي صفحة الماضي بعفو كريم.

ومن هنا تبدأ المرحلة الحاسمة من القصة، حيث سيعلن يوسف عليه السلام هويته، ويعترف الإخوة بخطيئتهم، وتبدأ رحلة المصالحة التي ستنتهي باجتماع الأسرة وتحقيق رؤيا يوسف عليه السلام.

Edit with WPS Office

المبحث الثاني

كشف يوسف عليه السلام عن شخصيته واعتراف إخوته بخطئهم

دراسة تفسيرية وعقدية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ۝ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 89-91].

تمهيد

بلغت أحداث القصة في هذا الموضع ذروتها، فقد انتهت سنوات الكتمان، وحان الوقت الذي أذن الله فيه بانكشاف الحقيقة. لقد وقف الإخوة بين يدي يوسف وهم لا يعلمون أن الذي يخاطبهم هو أخوهم الذي ألقوه في غيابة الجب، وباعوه بثمن بخس، وفرقوا بينه وبين أبيه سنوات طويلة.

ولكن يوسف عليه السلام لم يرد أن يواجههم بالتوبيخ أو التشهير،

Edit with WPS Office

وإنما اختار الأسلوب الذي يوقظ الضمير، ويهيئ القلوب للاعتراف بـ الخطأ والتوبة، فكان هذا المشهد من أبلغ مشاهد العفو والإصلاح في القرآن الكريم.

أولًا: سؤال يوسف الذي أيقظ الضمائر

قال تعالى:

﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾.

لم يبدأ يوسف بتعنيفهم، ولم يقل: "لقد ظلمتموني"، وإنما طرح سؤالًا يحمل في طياته التذكير والرحمة.

وقد جمع في السؤال بين يوسف وأخيه بنيامين؛ لأن الأذى لم يكن مقصورًا على يوسف، بل امتد أثره إلى أخيه وأبيه والأسرة كلها.

ووصف حالهم بقوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾، وفي هذا تلطف عظيم؛ إذ نسب فعلهم إلى الجهل، وهو تعبير يفتح باب الاعتذار والتوبة، ولا يغلق باب الرجوع إلى الله.

ثانيًا: معنى الجهل في الآية

ليس المقصود بالجهل هنا عدم العلم، وإنما الجهل الذي يحمل صاحبه على اتباع الهوى، وارتكاب المعصية، وإن كان يعلم أنها خطأ.

فقد كانوا يعلمون حرمة الظلم، لكن الحسد غلبهم، فأقدموا على ما فعلوا.

ومن هنا يعلم المسلم أن كل معصية هي نوع من الجهل، لأن صاحبها آثر شهوة عاجلة على طاعة الله.

Edit with WPS Office

ثالثًا: دهشة الإخوة

قال تعالى:

﴿قالوا أإنك لأنت يوسف﴾.

لقد كانت المفاجأة عظيمة؛ إذ لم يخطر ببالهم أن العزيز الذي يقف أمامهم هو يوسف نفسه.

لقد رأوه عزيز مصر، صاحب السلطان والهيبة، بينما كانوا يظنون أن يوسف قد مات، أو ضاع خبره منذ سنين.

ولهذا جاء السؤال مؤكدًا بأدوات التوكيد، دلالة على شدة الدهشة وعظم المفاجأة.

رابعًا: إعلان يوسف الحقيقة

قال يوسف:

﴿أنا يوسف وهذا أخي﴾.

كانت هذه الكلمات القصيرة كافية لتقلب المشهد كله.

ولم يبدأ يوسف بتعداد ما لقيه من ظلم، ولم يذكر الجب، ولا الرق، و لا السجن، وإنما بدأ بتعريف نفسه، ثم أضاف أخاه إليه، ليؤكد أن الله قد جمع بينهما بعد طول الفراق.

ثم قال:

﴿قد منّ الله علينا﴾.

Edit with WPS Office

فنسب الفضل كله إلى الله، ولم ينسب النجاح إلى ذكائه أو قوته أو حسن تدبيره.

وهذه من صفات الأنبياء؛ إذ يرون نعم الله قبل أن يروا أعمالهم.

خامسًا: قاعدة قرآنية عظيمة

قال يوسف:

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

وهذه الآية من أعظم القواعد التربوية في القرآن.

فقد جمع يوسف بين أصلين عظيمين:

التقوى: وهي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

الصبر: وهو الثبات على طاعة الله، والصبر عن المعصية، والصبر على البلاء.

وباجتماعهما ينال العبد الإحسان، ويستحق وعد الله بعدم ضياع الأجر.

وليس في القصة كلها آية تلخص مسيرة يوسف مثل هذه الآية؛ فقد كان تقيًا في بيت العزيز، وصابرًا في السجن، وصابرًا على أذى إخوته ، فكانت العاقبة له.

سادسًا: اعتراف الإخوة بالذنب

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿قالوا تاللّٰه لقد آثرك اللّٰه علينا وإن كنا لخاطئين﴾.

وهذا اعتراف صريح بخطئهم، دون محاولة لتبرير ما فعلوه.

واعترفوا بأمرين:

أن اللّٰه فضّل يوسف عليهم.

وأنهم كانوا مخطئين فيما صنعوا.

وهذه هي التوبة الصادقة؛ إذ تبدأ بالاعتراف بالذنب، ثم الندم عليه، ثم العزم على عدم العودة إليه.

سابعًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

﴿هل علمتم﴾ جاء الاستفهام لا لطلب العلم، وإنما للتذكير وإيقاظ الضمير.

وقوله:

﴿إذ أنتم جاهلون﴾ فيه تلطف في العتاب، إذ لم يصفهم بالظلم أو الخيانة، بل نسب فعلهم إلى الجهل، مراعاةً لمقام التوبة.

أما قوله:

﴿قد من اللّٰه علينا﴾ ففيه إسناد الفضل إلى اللّٰه وحده، وهو من تمام التوحيد.

وجاءت الآية:

Edit with WPS Office

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ بصيغة عامة، لتكون قاعدة خالدة لكل مؤمن، لا خاصة بيوسف وحده.

ثامنًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم الدروس المستفادة:

الاعتراف بالخطأ أول طريق الإصلاح.

الحسد من أخطر أمراض القلوب، وقد يوقع صاحبه في أعظم الذنوب.

التقوى والصبر طريقا التمكين والنجاح.

المؤمن ينسب الفضل إلى الله، ولا يغتر بنفسه.

حسن اختيار الكلمات عند النصح يعين على قبول الحق.

التوبة الصادقة تمحو آثار الذنب إذا صدق صاحبها مع الله.

تاسعًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: لما رأى يوسف ما أصاب إخوته من الانكسار، عرف أن الوقت قد حان لكشف نفسه، فعرّفهم بها، وذكّرهم بصنيعهم تذكيرًا يحملهم على التوبة لا على اليأس.

وقال الإمام الطبري: إن قوله تعالى: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ دليل على أن من عمل المعصية فقد شابه أهل الجهل، وإن كان عالمًا بحكمها.

وقال الإمام القرطبي: تضمنت هذه الآيات فضل العفو، وحسن الخطاب، وأن الاعتراف بالذنب من أجلّ علامات التوبة.

Edit with WPS Office

خاتمة المبحث

في هذا المشهد تنقلب موازين القصة؛ فالذين أخرجوا يوسف من بيت أبيه، يقفون اليوم بين يديه معترفين بخطئهم، والذي ذاق مرارة الظلم يقف ثابتًا كريمًا، لا يتشفى، ولا ينتقم، وإنما يرد الفضل إلى الله، ويجعل من محنته درسًا خالدًا في التقوى والصبر.

وبهذا تبدأ المرحلة الأخيرة من القصة، وهي مرحلة العفو الكامل، وإزالة آثار الماضي، وإعادة بناء الأسرة على أساس الصفح والمودة و الإيمان، وهو ما سنتناوله في المبحث الثالث: عفو يوسف عن إخوته وإرساله القميص إلى أبيه، وبشائر الفرج القريب.

المبحث الثالث

Edit with WPS Office

عفو يوسف عليه السلام عن إخوته وإرساله القميص إلى أبيه

دراسة تفسيرية وعقدية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 92-93].

تمهيد

بعد أن اعترف إخوة يوسف عليه السلام بخطئهم، وأقروا بأنهم ظلموه، جاء الموقف الذي خلدته آيات القرآن، وأصبح مثالًا خالدًا للعفو عند المقدرة. لقد كان يوسف في موضع القوة والسلطان، وكان يستطيع أن يعاقب إخوته على ما اقترفوه في حقه، ولكنه اختار طريق الأنبياء، وهو طريق الرحمة والإصلاح، ففتح لهم باب العفو، وأزال ما بقي في قلوبهم من خوف، ثم وجّه اهتمامه إلى أبيه يعقوب عليه السلام، فأرسل إليه قميصه ليكون بشارة بانتهاء سنوات الحزن والفراق.

أولًا: العفو عند المقدرة

قال تعالى:

﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾.

الثّرْب هو اللوم والتوبيخ والتعيير بالذنب، ومعنى الآية: لا لوم عليكم ، ولا مؤاخذة، ولا تذكير بما مضى.

Edit with WPS Office

وهذا من أبلغ صور العفو؛ لأن يوسف لم يكتفِ بترك العقوبة، بل رفع عنهم حتى مشقة التوبيخ وإحياء الذنب في نفوسهم.

ولم يقل: "لا تثريب عليكم" فقط، بل قال: ﴿اليوم﴾، أي: انتهت صفحة الماضي، وبدأت صفحة جديدة تقوم على الصفح والإحسان.

ثانيًا: الدعاء لهم بالمغفرة

قال يوسف:

﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.

ولم يدعُ عليهم، مع أنهم كانوا سببًا في كل ما مر به من محن، بل دعا لهم بالمغفرة والرحمة.

وهذا يدل على صفاء قلبه، وسلامة صدره، وأنه لم يحمل في نفسه حقدًا أو رغبة في الانتقام.

كما يدل على أن المؤمن إذا عفا عن الناس، أحب لهم الخير والهداية، ولم يكتفِ بإسقاط حقه الشخصي.

ثالثًا: منزلة العفو في الإسلام

العفو من أجلّ الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وقد أثنى الله على أهله في مواضع كثيرة من القرآن، فقال تعالى:

﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: 22].

وقال سبحانه:

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل

Edit with WPS Office

عمران: 134].

وقد جمع يوسف بين كظم الغيظ، والعفو، والإحسان، فبلغ أعلى مراتب الأخلاق.

ولذلك بقي موقفه مثالًا يحتذى لكل من ابتُلي بظلم أو إساءة.

رابعًا: القميص الذي حمل بشائر الفرج

قال تعالى:

﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا﴾.

كان هذا القميص وسيلة من وسائل الفرج التي أكرم الله بها يعقوب عليه السلام.

وقد اختلف العلماء في كيفية عودة بصره، فمنهم من قال: إنها معجزة أكرم الله بها نبيه يعقوب، فجعل القميص سببًا لعودة بصره، ومنهم من قال: إن الله أعاد إليه بصره عند ملامسة القميص، تحقيقًا لوعده.

والحق أن الشفاء من الله وحده، أما القميص فكان سببًا أذن الله له أن يكون علامة على تمام النعمة.

وفي ذلك دليل على أن الأسباب لا تنفع بذاتها، وإنما تنفع بإذن الله تعالى.

خامسًا: دعوة الأسرة كلها إلى مصر

قال يوسف:

Edit with WPS Office

·{وأتوني بأهلكم أجمعين}·.

لم يقتصر على دعوة أبيه وأخيه، بل دعا الأسرة كلها.

وهذا يدل على أن يوسف لم يكن يريد مجرد اللقاء، بل كان يريد إعادة بناء الأسرة على أساس المحبة، وإزالة آثار الماضي، وجمع الشمل بعد سنوات طويلة من التفرق.

وفي هذه الدعوة تتجلى قيمة صلة الرحم، والسعي إلى الإصلاح بين أفراد الأسرة.

سادسًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

·{لا تثريب عليكم اليوم}· إيجاز بليغ، جمع معاني العفو والصفح وطي صفحة الماضي في كلمات قليلة.

وقوله:

·{يغفر الله لكم}· انتقال من إسقاط الحق الشخصي إلى الدعاء لهم بنيل مغفرة الله، وهو أسمى مراتب الإحسان.

أما قوله:

·{وأتوني بأهلكم أجمعين}· ففيه تأكيد بكلمة «أجمعين»؛ ليدل على أن يوسف أراد اجتماع الأسرة كلها دون استثناء.

سابعًا: الدروس العقدية والتربوية

من أهم الدروس المستفادة:

Edit with WPS Office

العفو عند المقدرة من أخلاق الأنبياء.

الصفح الحقيقي هو الذي يمحو آثار الذنب من القلوب.

الدعاء للمسيء من علامات صفاء النفس.

الأسباب لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى.

صلة الرحم مقصد عظيم من مقاصد الشريعة.

المؤمن يجعل من المحنة بابًا للإصلاح، لا وسيلة للانتقام.

ثامنًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: لم يُعرف في القصص موقف أعظم في العفو من موقف يوسف عليه السلام، إذ جمع بين إسقاط العقوبة، وترك اللوم، والدعاء بالمغفرة.

وقال الإمام الطبري: معنى ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ أي: لا مؤاخذة و لا تعيير بما سلف منكم، فقد عفوت عنكم.

وقال الإمام القرطبي: في الآية دليل على استحباب العفو عند القدرة ، وأنه أقرب إلى تقوى الله، وأعظم أثرًا في إصلاح القلوب.

تاسعًا: أثر العفو في إصلاح الأسرة

لم يكن عفو يوسف مجرد خلق فردي، بل كان سببًا في إعادة بناء الأ سرة كلها.

فلو قابل إساءة إخوته بالانتقام، لاستمرت القطيعة، وبقيت الجراح مفتوحة، لكن عفوه أغلق باب العداوة، وأعاد الثقة بين أفراد الأسرة،

Edit with WPS Office

ومهّد لاجتماعهم في مصر على المحبة والإيمان.

ومن هنا يتبين أن العفو ليس ضعفًا، بل هو قوة نفس، وحكمة في معالجة المشكلات، ووسيلة لبناء المجتمعات على أسس الرحمة و المودة.

خاتمة المبحث

يمثل هذا الموقف قمة الأخلاق النبوية؛ فقد جمع يوسف عليه السلام بين العدل والرحمة، وبين القوة والعفو، وبين التمكين والتواضع. ولم يجعل من سلطانه وسيلة للانتقام، وإنما جعله وسيلة للإصلاح، وإعادة الروابط الأسرية، وإدخال السرور على قلب أبيه بعد سنوات طويلة من الحزن.

وبإرسال القميص إلى يعقوب عليه السلام تبدأ بشائر الفرج في الظهور، ويقترب اللقاء الذي انتظره الجميع، لتتحقق رؤيا يوسف، ويظهر أن الله سبحانه يدبر لعباده المؤمنين من الخير ما لا يخطر لهم على بال.

وفي المبحث الرابع سنتناول وصول القميص إلى يعقوب عليه السلا م، وعودة بصره، وخروج الأسرة إلى مصر، مع دراسة تفسيرية وبلا غية وتربوية موسعة.

المبحث الرابع

Edit with WPS Office

وصول قميص يوسف إلى يعقوب عليه السلام وعودة بصره ورحلة ا لأسرة إلى مصر

دراسة تفسيرية وعقدية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ۝ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: 94-98].

تمهيد

بعد أن صفح يوسف عليه السلام عن إخوته، وأرسل معهم قميصه ليكون علامة على انتهاء المحنة، بدأت مرحلة جديدة من مراحل القصة، وهي مرحلة البشائر. فقد خرجت القافلة من مصر متجهة إلى أرض كنعان، تحمل معها أعظم خبر انتظرته الأسرة سنوات طويلة، وهو أن يوسف حي، وأن الله جمع له بين النبوة والتمكين.

وفي هذه المرحلة تتجلى رحمة الله بعباده، إذ يحول الأحزان إلى أفراح، ويبدل الدموع سرورًا، ويجعل بعد العسر يسرًا، وبعد الفراق لقاءً، وبعد اليأس رجاءً.

أولًا: إحساس يعقوب بقرب اللقاء

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾.

أي: لما خرجت القافلة من مصر، وقبل أن تصل إلى كنعان، قال يعقوب لمن حوله: إني أشم رائحة يوسف.

وقد اختلف المفسرون في كيفية ذلك، والأقرب أن الله أكرم نبيه يعقوب بآية تدل على قرب الفرج، فجعله يجد ريح يوسف على وجه خارق للعادة.

وفي هذا دليل على أن الله إذا أراد إكرام عبد من عباده هيأ له من الآيات ما يزيده يقينًا وطمأنينة.

ثانيًا: معنى قوله: ﴿لولا أن تفندون﴾

أي: لولا أن تنسبوني إلى الخرف أو ضعف الرأي لكثرة ما أصابني من الحزن.

فقد كان بعض من حوله يظنون أن شدة تعلقه بيوسف جعلته يتوهم قربه.

ولكن يعقوب لم يكن يتكلم عن وهم، وإنما عن يقين أكرمه الله به.

وهذا يعلم المؤمن ألا يحكم على الأمور بظواهرها فقط، فالله قادر على أن يهيئ من الأسباب ما يعجز العقل عن إدراك كيفيته.

ثالثًا: رد الحاضرين

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿قالوا تاللّٰه إنك لفي ضلالك القديم﴾.

أي: ما زلت على اعتقادك القديم بأن يوسف حي.

ولم يريدوا بالضلال هنا ضلال العقيدة، فحاشا لنبي اللّٰه، وإنما قصدوا الخطأ في ظنهم وتقديرهم.

وهذا من جهلهم بحقيقة ما عند اللّٰه، إذ كانوا يقيسون الأمور بعقولهم القاصرة، بينما كان يعقوب يستند إلى يقين زرعه اللّٰه في قلبه.

رابعًا: وصول البشير وعودة البصر

قال تعالى:

﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرًا﴾.

وصل حامل البشارة، وكان يحمل قميص يوسف، فألقاه على وجه يعقوب، فعاد إليه بصره بإذن اللّٰه تعالى.

وهذه معجزة ظاهرة أكرم اللّٰه بها نبيه، لتكون ختامًا لسنوات طويلة من الصبر.

ولم يكن القميص هو الذي يخلق الشفاء، وإنما اللّٰه سبحانه هو الشافي، وقد جعل القميص سببًا لظهور هذه النعمة.

خامسًا: يقين يعقوب بربه

قال تعالى:

﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من اللّٰه ما لا تعلمون﴾.

Edit with WPS Office

لقد تذكر يعقوب كلماته السابقة حين قال:

﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا﴾.

فلما تحقق وعد الله، ذكر أبناءه بأنه لم يكن يتحدث عن أمنية، وإنما عن يقين بالله، وثقة بوعده.

وفي هذا أعظم درس في حسن الظن بالله، فإن المؤمن قد يرى الناس أن الأسباب قد انقطعت، بينما يرى بقلبه أن رحمة الله أقرب مما يظنون.

سادسًا: اعتراف الإخوة بطلب المغفرة

قال تعالى:

﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾.

لقد اكتملت توبتهم، فلم يكتفوا بالاعتراف أمام يوسف، بل رجعوا إلى أبيهم يطلبون منه أن يدعو لهم بالمغفرة.

وفي هذا دليل على صدق ندمهم، وأنهم شعروا بعظم ما اقترفوه في حق أبيهم وأخيهم.

كما يدل على منزلة دعاء الوالد، وحرص الأبناء على نيل رضاه.

سابعًا: رحمة يعقوب بأبنائه

قال تعالى:

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾.

Edit with WPS Office

لم يعنفهم، ولم يردهم، ولم يذكرهم بما فعلوا، وإنما وعدهم بالدعاء والاستغفار.

وهذه أخلاق الأنبياء، إذ يجمعون بين التربية والرحمة، وبين العدل و العفو.

وقد ذكر بعض المفسرين أنه أخّر الاستغفار إلى وقت السحر؛ لأنه وقت ترجى فيه إجابة الدعاء، وإن كان القرآن لم يحدد زمنًا معينًا.

ثامنًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ تأكيد بـ«إن» واللام؛ للدلالة على قوة يقين يعقوب.

وقوله:

﴿فارتد بصيرًا﴾ جاء بفعل يدل على سرعة رجوع البصر وكماله.

أما قوله:

﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ فقد جمع بين اسمي الله الدالين على سعة المغفرة وكمال الرحمة، ليبعث الأمل في قلوب التائبين.

تاسعًا: الدروس العقدية والتربوية

ومن أهم ما يستفاد من هذه الآيات:

أن الفرج يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان.

Edit with WPS Office

حسن الظن باللّٰه من أعظم العبادات القلبية.

اللّٰه وحده هو الشافي، والأسباب لا تنفع إلا بإذنه.

التوبة الصادقة تقود إلى طلب المغفرة ورد الحقوق.

رحمة الوالد بأبنائه من أعظم صور التربية.

الدعاء والاستغفار من أسباب نزول الرحمة.

عاشرًا: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: لما جاء البشير بقميص يوسف، ألقاه على وجه يعقوب، فعاد إليه بصره بقدرة اللّٰه تعالى، وكان ذلك من تمام نعمته عليه.

وقال الإمام الطبري: إن قول يعقوب: ﴿إني أعلم من اللّٰه ما لا تعلمون﴾ دليل على قوة يقينه، ورجائه فيما عند اللّٰه.

وقال الإمام القرطبي: في الآيات فضل الاستغفار، وأن اعتراف المذنب بخطيئته وطلبه الدعاء من أهل الصلاح من علامات صدق التوبة.

خاتمة المبحث

يمثل هذا المشهد بداية النهاية السعيدة لقصة يوسف عليه السلام؛ فقد عادت البشارة إلى بيت يعقوب، وانقلبت سنوات الحزن إلى فرح ، وعاد البصر إلى النبي الكريم بعد أن رد اللّٰه إليه أعز ما فقده. كما ظهرت آثار التوبة الصادقة في نفوس الإخوة، حين أقروا بذنوبهم، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم.

Edit with WPS Office

وهكذا يبين القرآن أن الصبر لا يضيع، وأن الثقة بالله لا تخيب، وأن من تعلق قلبه بالله في أوقات الشدة، أكرمه الله في أوقات الفرج بما يفوق ما كان يرجوه.

وفي المبحث الخامس سنتناول دخول يعقوب وأهله إلى مصر، واستقبال يوسف لهم، وتحقيق الرؤيا التي رآها في صغره، مع دراسة تفسيرية وبلاغية وتربوية موسعة.

المبحث الخامس

دخول يعقوب عليه السلام وأهله إلى مصر وتحقيق رؤيا يوسف

دراسة تفسيرية وعقدية وتربوية

قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 99-100].

تمهيد

Edit with WPS Office

ها هي القصة المباركة تصل إلى ذروة نهايتها، بعد سنوات طويلة من الابتلاء، والفراق، والدموع، والصبر، والرجاء. لقد خرج يوسف من بيت أبيه غلامًا صغيرًا، ثم تنقل بين الجب والرق والسجن، حتى أوصله الله إلى التمكين في الأرض. وها هو اليوم يستقبل والديه وإخوته استقبال القائد الكريم والابن البار، ليشهد الجميع تحقق الوعد الإلهي الذي بدأ برؤيا رآها يوسف في طفولته.

وفي هذا المشهد تتجلى حكمة الله في تدبير الأمور، وأن ما يقدره سبحانه من ابتلاءات قد يكون طريقًا إلى أعظم المنح، وأن العاقبة دائمًا لأهل الإيمان والتقوى.

أولًا: استقبال يوسف لوالديه

قال تعالى:

﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾.

استقبل يوسف والديه بمنتهى البر والإكرام، فضمّهما إليه، وأجلسهما في مكانة تليق بهما، بعد سنوات طويلة من الفراق.

وكلمة ﴿آوى﴾ تدل على الاحتضان، والإكرام، وإشعار القادم بالأمن و الطمأنينة، فهي ليست مجرد استقبال، بل استقبال يمتلئ بالمحبة و الوفاء.

وقد ضرب يوسف بهذا الموقف أروع الأمثلة في بر الوالدين، فلم تنسه مناصبه، ولا سلطانه، ولا مكانته عند الملك حق والديه عليه.

ثانيًا: الأمن نعمة عظيمة

Edit with WPS Office

قال يوسف:

﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾.

لم يَعِدهم بالغنى أو الرفاهية أولًا، وإنما بدأ بالأمن؛ لأن الأمن أساس كل نعمة، وبدونه لا يستقر دين ولا دنيا.

وقد امتن الله على عباده بالأمن في مواضع كثيرة من القرآن، لأن الإ نسان لا يستطيع أن يعبد ربه، أو يعمر الأرض، أو يعيش حياة مستقرة إلا إذا شعر بالأمان.

وفي إضافة الأمن إلى مشيئة الله تربية على تعليق القلوب بالله، وا لاعتراف بأن الأمن الحقيقي منحة من الله وحده.

ثالثًا: رفع أبويه على العرش

قال تعالى:

﴿ورفع أبويه على العرش﴾.

أي: أجلس والديه على سرير الملك تكريمًا لهما وإظهارًا لمكانتهما.

وفي هذا دليل على جواز إكرام الوالدين وإظهار منزلتهما أمام الناس، إذا كان المقصود البر والإحسان، لا الكبر أو الرياء.

كما أن يوسف لم ير في سلطانه سببًا للتعالي، بل جعله وسيلة لإكرام أهله، وهذا من تمام شكر النعمة.

رابعًا: سجود التحية

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وخروا له سجدًا﴾.

أجمع أهل العلم على أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة، وإنما كان سجود تحية وتعظيم، وكان جائزًا في شرائع الأنبياء السابقين، ثم نسخته شريعة الإسلام، فأصبح السجود لا يجوز إلا لله تعالى.

وقد تحقق بهذا السجود تأويل الرؤيا التي رآها يوسف وهو صغير، حين قال:

﴿إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.

فكانت الشمس والقمر رمزًا لأبويه، وكانت الكواكب الأحد عشر رمزًا لإخوته.

خامسًا: تحقق الرؤيا

قال يوسف:

﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا﴾.

لم ينس يوسف الرؤيا التي رآها في طفولته، ولم ينس وصية أبيه حين قال له:

﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾.

واليوم، بعد سنوات طويلة، وقف يشهد تحققها كاملة كما وعد الله.

وفي هذا دليل على أن وعد الله لا يتخلف، وإن طال الزمن، وأن المؤمن قد يرى تأخر الفرج، لكنه لا ينبغي أن يشك في صدق وعد الله.

Edit with WPS Office

سادسًا: نسب الفضل إلى الله

قال يوسف:

﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾.

تأمل كيف ذكر نعمة الخروج من السجن، ولم يذكر نعمة الخروج من الجب.

قال العلماء: لأنه أراد ألا يذكر إخوته بما صنعوه، فاختار أن يتحدث عن السجن، الذي لم يكن سببه المباشر إخوته، حتى لا يجرح مشاعرهم بعد أن تابوا.

وهذا من كمال أدبه، وحسن خلقه، ورغبته الصادقة في إغلاق صفحة الماضي.

سابعًا: أدب يوسف مع إخوته

قال تعالى:

﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾.

لم يقل: "من بعد ظلمهم لي"، أو "من بعد خيانتهم"، وإنما نسب الفتنة إلى نزغ الشيطان.

وهذا من أرقى أساليب الإصلاح؛ إذ يخفف من وقع الذنب بعد التوبة ، ويعين على إزالة ما بقي من آثار العداوة.

وفي هذا تعليم للمؤمن أن يتجنب الألفاظ التي تثير الأحقاد بعد حصول الصلح.

Edit with WPS Office

ثامنًا: لطف الله بعباده

قال يوسف:

﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾.

ومن معاني لطف الله: أنه يدبر لعباده الخير من حيث لا يشعرون، ويخرج من الشدة فرجًا، ومن المحنة منحة، ومن الألم رحمة.

فلو لم يُلق يوسف في الجب، لما دخل بيت العزيز، ولو لم يدخل السجن، لما التقى بساقي الملك، ولو لم يفسر الرؤيا، لما تولى خزائن مصر، ولما أنقذ الله الناس من المجاعة.

إنها سلسلة من الأقدار التي تبدو متفرقة، لكنها في علم الله كانت طريقًا إلى الخير العظيم.

تاسعًا: اللطائف البلاغية

في قوله تعالى:

﴿هذا تأويل رؤياي من قبل﴾: إشارة إلى أن الرؤيا لم تكن خيالًا، بل وعدًا إلهيًا تحقق في وقته.

وقوله:

﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾: جاء بصيغة تدل على دوام لطف الله، وأنه يجري في كل زمان ومكان.

أما قوله:

﴿هو العليم الحكيم﴾: فقد جمع بين العلم المحيط بكل شيء، و

Edit with WPS Office

الحكمة البالغة في كل تقدير.

عاشرًا: الدروس العقدية والتربوية

ومن أهم الدروس المستفادة:

بر الوالدين من أعظم أسباب البركة.

الأمن نعمة عظيمة تستحق الشكر.

وعد الله حق، وإن تأخر تحققه.

لا يجوز السجود لغير الله في شريعة الإسلام.

من كمال الأخلاق عدم تذكير التائبين بذنوبهم.

لطف الله قد يختفي وراء الابتلاءات حتى يظهر في النهاية.

حسن الخاتمة ثمرة الصبر والتقوى والثبات على طاعة الله.

حادي عشر: أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير: إن يوسف عليه السلام نسب جميع النعم إلى الله تعالى، وأظهر غاية التواضع مع ما أوتي من الملك والسلطان، وهذا من كمال شكره لربه.

وقال الإمام الطبري: قوله تعالى: ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ أي: يدبر لعباده من الأسباب الخفية ما يحقق لهم الخير الذي لا يدركونه في بدايته.

وقال الإمام القرطبي: في هذه الآيات دليل على أن سجود التحية

Edit with WPS Office

كان جائزًا في الشرائع السابقة، ثم نُسخ في شريعة الإسلام، وبقي السجود عبادة خالصة لله تعالى.

خاتمة المبحث

بهذا المشهد المبارك تكتمل رحلة يوسف عليه السلام من الابتلاء إلى التمكين، ومن الفراق إلى اللقاء، ومن المحنة إلى المنحة. لقد تحققت الرؤيا التي بدأت بها السورة، واجتمع شمل الأسرة بعد سنوات طويلة، وظهر أن كل ما جرى لم يكن عبثًا، وإنما كان جزءًا من تدبير الله اللطيف الحكيم.

ويعلمنا هذا الختام أن الصبر لا يضيع، وأن التقوى لا تخيب، وأن الله إذا أراد بعبده خيرًا ساقه إليه بأقدار قد تبدو في ظاهرها مؤلمة، لكنها تحمل في باطنها أعظم صور الرحمة واللطف.

وبذلك تكتمل الأحداث الرئيسة لقصة يوسف عليه السلام، ويبقى المبحث السادس والأخير مخصصًا لاستخراج أهم الدروس والعبر و المقاصد الدعوية والتربوية من القصة كلها، ليكون خاتمة علمية جامعة للفصل الثامن والكتاب.

المبحث السادس

أهم الدروس والعبر والمقاصد الدعوية والتربوية في قصة يوسف

Edit with WPS Office

عليه السلام

دراسة تأصيلية شاملة

تمهيد

تُعد قصة يوسف عليه السلام من أعظم القصص القرآني؛ لأنها جمعت بين العقيدة، والتربية، والأخلاق، والدعوة، والسياسة الشرعية، والإدارة، والأسرة، والاقتصاد، والنفس الإنسانية، فجاءت مدرسة متكاملة لبناء الفرد والمجتمع.

وقد وصفها الله تعالى بقوله:

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف: 3].

ولم يكن وصفها بأنها «أحسن القصص» لمجرد جمال أسلوبها، وإنما لما اشتملت عليه من أعظم الهدايات، وأصدق العبر، وأكمل صور الابتلاء والتمكين.

ومن يتأمل أحداث هذه السورة يجد أنها ترسم منهجًا ربانيًا للتعامل مع الحياة بكل ما فيها من أفراح وأحزان، ونجاح وإخفاق، وغنى وفقر، وقوة وضعف.

أولًا: الإيمان بالقضاء والقدر

من أبرز الدروس التي تؤكدها القصة أن جميع الأحداث تجري بقضاء الله تعالى وقدره.

فإلقاء يوسف في الجب، وبيعه عبدًا، ودخوله بيت العزيز، وابتلاؤه

Edit with WPS Office

بامرأة العزيز، وسجنه، ثم خروجه، وتمكينه في الأرض، واجتماع شمله بأهله، كلها حلقات في سلسلة واحدة أرادها الله سبحانه لحكمة عظيمة.

وهذا يعلم المؤمن أن ما يقدره الله له، وإن بدا في ظاهره مؤلمًا، فقد يكون سببًا لأعظم الخير في مستقبله.

ثانيًا: منزلة الصبر

تكاد قصة يوسف كلها تكون تفسيرًا عمليًا لمعنى الصبر.

فيوسف صبر على حسد إخوته، وصبر في الجب، وصبر في الرق، وصبر أمام فتنة امرأة العزيز، وصبر في السجن، وصبر عند التمكين فلم يطغه السلطان.

وكذلك يعقوب عليه السلام ضرب أروع الأمثلة في الصبر الجميل، فلم ييأس من رحمة الله، ولم يعترض على قضائه.

ومن هنا يتبين أن الصبر ليس موقفًا عابرًا، بل منهج حياة يرافق المؤمن في جميع أحواله.

ثالثًا: التقوى طريق النجاة

قال يوسف عليه السلام:

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

وهذه قاعدة ربانية عظيمة، تؤكد أن التقوى هي أساس النجاح في الدنيا والآخرة.

Edit with WPS Office

وقد ظهرت تقوى يوسف في كل مراحل حياته؛ فامتنع عن الحرام، وحفظ الأمانة، وعدل بين الناس، ولم ينتقم ممن ظلمه، فكانت ثمرة ذلك التمكين والعزة.

رابعًا: خطر الحسد

بدأت القصة بالحسد، وانتهت بالمحبة.

لقد كان الحسد هو الدافع الأول لما فعله الإخوة بيوسف، حتى أوصلهم إلى التفكير في قتله، ثم إلقائه في الجب.

ولهذا كان الحسد من أخطر أمراض القلوب، لأنه يعترض على قسمة الله بين عباده، ويدفع صاحبه إلى الظلم.

كما تبين القصة أن علاج الحسد يكون بالإيمان، وتهذيب النفس، و الرضا بما قسم الله.

خامسًا: العفة من أعظم أسباب الرفعة

تعرض يوسف عليه السلام لفتنة قلّ أن يتعرض لها إنسان؛ فقد اجتمع جمال المرأة، والسلطان، والخلوة، والدعوة الصريحة إلى الفاحشة، ومع ذلك قال:

﴿معاذ الله﴾.

فكانت عفته سببًا في حفظه، ثم في رفع منزلته.

وهذا يعلم الشباب أن حفظ النفس عن الحرام لا يضيع، وأن الله يعوض من ترك شيئًا لأجله خيرًا منه.

Edit with WPS Office

سادسًا: قيمة الأسرة الصالحة

أبرزت القصة أثر الأسرة في تكوين شخصية الإنسان.

فقد كان يعقوب عليه السلام أبًا رحيمًا، ومربيًا حكيمًا، يوجه أبناءه، ويعلمهم، ويغرس فيهم الإيمان.

كما أظهرت القصة أن وقوع الخطأ داخل الأسرة لا يعني نهاية العلا قة، بل يمكن إصلاحها بالتوبة والاعتراف والعفو.

سابعًا: العفو والإحسان

من أعظم مشاهد القصة قول يوسف:

{لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم}.

لقد انتصر يوسف على نفسه قبل أن ينتصر على خصومه، وأثبت أن القوة الحقيقية ليست في الانتقام، وإنما في القدرة على الصفح والإ صلاح.

وهذا من أعظم الدروس التي يحتاجها الناس في حياتهم الأسرية وا لاجتماعية.

ثامنًا: حسن الإدارة والتخطيط

قدمت القصة نموذجًا رائدًا في الإدارة الاقتصادية.

فقد وضع يوسف خطة محكمة لإدارة سنوات الرخاء، ثم استثمارها في مواجهة سنوات المجاعة.

وتضمنت الخطة:

Edit with WPS Office

التخطيط طويل المدى.

ترشيد الاستهلاك.

حفظ الموارد.

حسن توزيع الأرزاق.

تحمل المسؤولية.

ولذلك أصبحت سياسة يوسف مثالًا يحتذى في الإدارة الرشيدة وإدارة الأزمات.

تاسعًا: أهمية العلم

كان علم يوسف بتأويل الرؤى سببًا في انتقاله من السجن إلى قصر الحكم.

كما أن علمه بالإدارة والاقتصاد أهله لتولي خزائن الأرض.

وهذا يدل على أن الإسلام يرفع مكانة العلم، ويجعل الكفاءة والأمانة أساسًا لتولي المسؤوليات.

عاشرًا: التوبة الصادقة

تحول إخوة يوسف من الحسد إلى الندم، ومن الظلم إلى الاعتراف بـ الذنب، ومن الكبرياء إلى طلب الاستغفار.

وفي ذلك دليل على أن باب التوبة مفتوح مهما عظم الذنب، وأن الله يفرح بتوبة عباده إذا صدقوا في رجوعهم إليه.

Edit with WPS Office

حادي عشر: الدعوة إلى الله بالحكمة

لم يكن يوسف داعية بالكلام فقط، بل كان داعية بأخلاقه وسلوكه.

فقد دعا صاحبي السجن إلى التوحيد، ودعا الملك إلى العدل، ودعا إخوته إلى الصفح، وكان في كل ذلك قدوة في الحكمة، والرفق، وحسن البيان.

ثاني عشر: لطف الله بعباده

من أكثر المعاني تكرارًا في القصة لطف الله الخفي.

فكل محنة كانت تخفي وراءها نعمة، وكل باب أغلق فتح الله بعده أبوابًا أوسع.

ولهذا ختم يوسف كلامه بقوله:

﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾.

فمن عرف لطف الله هان عليه البلاء، واطمأن قلبه إلى حسن تدبير الله.

ثالث عشر: الدروس الدعوية

ومن أهم ما يستفيده الدعاة إلى الله من هذه القصة:

البدء بالدعوة إلى التوحيد قبل غيره.

مخاطبة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

اغتنام الفرص في الدعوة.

Edit with WPS Office

الصبر على الأذى.

حسن الظن بالله عند تأخر النتائج.

القدوة العملية أعظم وسائل التأثير.

رابع عشر: الدروس الاجتماعية

وتدل القصة على جملة من القيم الاجتماعية، منها:

بر الوالدين.

صلة الأرحام.

العدل بين الأبناء.

معالجة الخلافات بالحكمة.

العفو عند المقدرة.

التعاون وقت الأزمات.

حفظ الأمانات.

الوفاء بالعهود.

خامس عشر: الدروس النفسية

تكشف القصة عن طبيعة النفس الإنسانية، فتبرز مشاعر الحب، و الغيرة، والخوف، والأمل، واليأس، والندم، والفرح.

كما تبين أن الإيمان هو العامل الأكبر في تهذيب النفس، وضبط انفعا

Edit with WPS Office

لاتها، وتوجيهها نحو الخير.

سادس عشر: المقاصد العامة للسورة

يمكن تلخيص المقاصد الكبرى لسورة يوسف فيما يأتي:

تثبيت المؤمنين عند الشدائد.

بيان عاقبة الصبر والتقوى.

الدعوة إلى التوحيد.

التحذير من الحسد والشهوات.

إبراز فضل العفو والصفح.

تأكيد أن وعد الله حق.

بيان أن تدبير الله خير من تدبير البشر.

بناء الأسرة على الإيمان والرحمة.

خاتمة المبحث

وبعد هذا العرض يتبين أن قصة يوسف عليه السلام ليست قصة تاريخية تُروى، بل هي منهج حياة، ومدرسة متكاملة في العقيدة والأخلاق والتربية والإدارة والدعوة. وقد جمعت من ألوان الابتلاء و التمكين ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، يستضيء بها الدعاة، و المربون، والآباء، والشباب، وكل من أراد أن يتعلم كيف يواجه المحن بالإيمان، وكيف يحول الشدائد إلى فرص، وكيف يجعل من الصبر و التقوى سبيلًا إلى رضوان الله والفوز في الدنيا والآخرة.

Edit with WPS Office

وبهذا يكتمل الفصل الثامن، وتكتمل الفصول العلمية للكتاب، ولم يبق إلا الخاتمة العامة، والنتائج، والتوصيات، ثم قائمة المراجع العربية وا لإنجليزية، لتكون خاتمة مناسبة للكتاب.

Edit with WPS Office

الفصل التاسع

Edit with WPS Office

الفوائد العقدية والتربوية والدعوية المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام

تمهيد

تُعد قصة يوسف عليه السلام من أغزر القصص القرآني في الفوائد العقدية والتربوية والدعوية، وقد وصفها الله سبحانه بقوله: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: 111]، فليست الغاية من القصة مجرد معرفة الأحداث التاريخية، وإنما الوقوف على ما تضمنته من هدايات ربانية، وقواعد إيمانية، وأصول تربوية، ومنهج دعوي متكامل.

وقد اجتمعت في هذه القصة معانٍ عظيمة من الإيمان بالقضاء و القدر، والتوحيد، والصبر، والعفة، والعفو، والإحسان، وحسن التوكل، وإصلاح الأسرة، وإدارة الأزمات، والدعوة إلى الله بالحكمة، حتى أصبحت مدرسة قرآنية متكاملة في بناء الإنسان الصالح والمجتمع المؤمن.

وسيعرض هذا الفصل أبرز هذه الفوائد من خلال عدة مباحث، مع الا ستدلال بالآيات، وبيان ما قرره علماء التفسير في ذلك.

المبحث الأول

الفوائد العقدية في قصة يوسف عليه السلام

أولًا: تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله

يعد توحيد الله تعالى المحور الرئيس الذي تدور حوله القصة، فلم تكن دعوة يوسف عليه السلام مقصورة على إصلاح الأخلاق، بل

Edit with WPS Office

كانت دعوة إلى إفراد الله بالعبادة ونبذ الشرك.

قال تعالى على لسان يوسف:

﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ [يوسف: 39].

فقد استثمر يوسف فرصة وجوده في السجن، ولم يجعل همه الخروج منه، بل بدأ بدعوة من حوله إلى توحيد الله، مما يدل على أن العقيدة هي أساس جميع الإصلاحات.

ثانيًا: الإيمان بالقضاء والقدر

تؤكد القصة أن كل ما يقع في الكون إنما يجري بعلم الله وتقديره، وأن الله سبحانه يدبر الأمور بحكمة بالغة، وإن خفيت حكمتها على العباد.

فما بدا في ظاهره مصيبة، كإلقاء يوسف في الجب أو دخوله السجن ، كان في حقيقته سببًا لبلوغه أعلى مراتب التمكين.

وهذا يربي المؤمن على الرضا بقضاء الله، وحسن الظن به، وعدم الا عتراض على أقداره.

ثالثًا: الإيمان بأسماء الله وصفاته

تكررت في السورة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومنها:

العليم.

الحكيم.

Edit with WPS Office

اللطيف.

الغفور.

الرحيم.

الواحد.

القهار.

وقد كان يوسف ويعقوب عليهما السلام يربطان الأحداث بهذه الأ سماء، فيزداد يقينهما بربهما.

رابعًا: التوكل على الله

ظهر التوكل في جميع مراحل القصة، فقد اعتمد يوسف على الله في مواجهة الفتن، واعتمد يعقوب عليه السلام على ربه في حفظ أبنائه، وقال:

﴿فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين﴾.

كما قال:

﴿إن الحكم إلا لله عليه توكلت﴾.

فالتوكل الصحيح يجمع بين الأخذ بالأسباب، والاعتماد على الله وحده.

خامسًا: الإيمان بأن العاقبة للمتقين

أثبتت القصة أن النصر الحقيقي يكون لأهل الإيمان، مهما طال زمن ا

Edit with WPS Office

لابتلاء.

وقد قال يوسف:

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

وهذه قاعدة عقدية عظيمة تبعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين، وتربطهم بوعد الله الذي لا يتخلف.

خاتمة المبحث

يتبين من هذه الفوائد أن قصة يوسف عليه السلام ليست مجرد قصة عن نبي كريم، وإنما هي درس عملي في العقيدة الصحيحة، يربط القلوب بالله تعالى، ويغرس فيها الإيمان، والتوكل، والرضا، وحسن الظن، واليقين بأن تدبير الله سبحانه خير من تدبير العباد.

ومن خلال هذه المعاني العظيمة تتأسس شخصية المسلم على الإ يمان الراسخ، والثقة بالله، والثبات أمام الفتن والابتلاءات، وهو ما يمثل الأساس الذي تُبنى عليه بقية الجوانب التربوية والدعوية في القصة.

المبحث الثاني

Edit with WPS Office

الفوائد التربوية في قصة يوسف عليه السلام

تمهيد

تُعد قصة يوسف عليه السلام من أعظم النماذج التربوية في القرآن الكريم؛ إذ تناولت تربية الفرد منذ الصغر، وتربية الأسرة، وإصلاح النفوس، وتقويم الأخلاق، والتعامل مع الفتن والابتلاءات، حتى أصبحت منهجًا متكاملًا في التربية الإيمانية والأخلاقية.

وقد امتازت هذه القصة بأنها لم تعرض المبادئ التربوية في صورة أوامر مجردة، بل قدمتها من خلال مواقف عملية عاشها يوسف عليه السلام، ويعقوب عليه السلام، وإخوته، فكان أثرها في النفوس أبلغ وأعمق.

أولًا: التربية الإيمانية أساس بناء الإنسان

أول ما يتعلمه المسلم من قصة يوسف أن الإيمان بـالله هو الأساس الذي تُبنى عليه شخصية الإنسان.

فقد نشأ يوسف عليه السلام في بيت نبوة، فتربى على مراقبة الله، وتعظيم أوامره، والثقة بوعده، ولذلك ثبت أمام جميع الفتن التي تعرض لها.

ومن هنا فإن أعظم ما يقدمه الآباء والمربون للأبناء هو غرس العقيدة الصحيحة، وربطهم بـالله تعالى منذ نعومة أظفارهم.

ثانيًا: دور الأسرة في التربية

أبرزت القصة مكانة الأسرة في بناء شخصية الأبناء.

Edit with WPS Office

فقد كان يعقوب عليه السلام قريبًا من أولاده، يتابع أحوالهم، وينصحهم، ويوجههم، ويحذرهم مما قد يضرهم.

كما علم يوسف منذ صغره حسن التعامل مع الرؤى، فقال له:

﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا﴾.

وفي هذا دليل على أن التربية تقوم على الحكمة، وحسن التوجيه، ومعرفة طبيعة النفوس.

ثالثًا: الحذر من التمييز بين الأبناء

من الدروس التربوية المهمة أن على الوالدين الحرص على العدل بين الأبناء.

فقد كان شعور الإخوة بتفضيل يوسف سببًا في تأجيج نار الحسد داخل نفوسهم.

ولا يعني ذلك أن يعقوب عليه السلام ظلم أبناءه، وإنما كانت هناك محبة فطرية ليوسف لصغر سنه، ولما رأى فيه من علامات النبوة.

ومع ذلك فإن القصة تعلم الآباء ضرورة تجنب كل ما قد يثير الغيرة بين الأبناء، وإشعار كل واحد منهم بقيمته ومكانته.

رابعًا: الصبر في تربية الأبناء

لم يفقد يعقوب عليه السلام أبناءه رغم أخطائهم، بل ظل يدعو لهم، ويرشدهم، ويصبر عليهم حتى عادوا إلى الحق.

وفي هذا درس لكل مربٍّ بألا ييأس من إصلاح من تحت يده، فإن

Edit with WPS Office

النفوس قد تتغير بالتوجيه والصبر والدعاء.

خامسًا: التربية على العفة

من أعظم الدروس التربوية في القصة موقف يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز.

فقد اجتمعت دواعي الفتنة كلها، ومع ذلك قال:

﴿معاذ الله﴾.

وهذا يدل على أن العفة ليست أمرًا فطريًا فقط، بل ثمرة تربية إيمانية، ومجاهدة للنفس، ومراقبة لله تعالى.

وينبغي للمربين أن يغرسوا في الشباب قيمة الطهارة، وغض البصر، وحفظ الفروج، وتعظيم حدود الله.

سادسًا: تربية النفس على الصبر

لم يكن صبر يوسف عليه السلام في موقف واحد، بل في مراحل متعددة:

صبر على ظلم إخوته.

وصبر في الجب.

وصبر في الرق.

وصبر على الفتنة.

وصبر في السجن.

Edit with WPS Office

وصبر عند التمكين.

وهذا يعلم المسلم أن الصبر خلق دائم، وليس موقفًا مؤقتًا.

سابعًا: تهذيب النفس من الحسد

بدأت القصة بالحسد، وانتهت بالمحبة والتوبة.

وفي هذا دليل على أن أمراض القلوب ليست قدرًا لازمًا، بل يمكن علاجها بالتوبة، والإيمان، ومحاسبة النفس.

ويجب على المربين تنبيه الأبناء إلى خطورة الحسد منذ الصغر، وتعليمهم الرضا بقضاء الله.

ثامنًا: التربية على تحمل المسؤولية

حين تولى يوسف خزائن مصر، قام بمسؤوليته خير قيام، وأدار سنوات الرخاء والجدب بحكمة وعدل.

وهذا يعلم الأبناء أهمية تحمل المسؤولية، وإتقان العمل، والمحافظة على حقوق الناس.

كما يربيهم على أن القيادة ليست تشريفًا، بل تكليف وأمانة.

تاسعًا: التربية على العفو

بلغ يوسف أعلى درجات الأخلاق عندما قال لإخوته:

﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾.

إن التربية الناجحة لا تقتصر على تعليم الحقوق، بل تعلم أيضًا

Edit with WPS Office

التسامح، والعفو، والإحسان إلى من أساء.

وهذه الأخلاق هي التي تحفظ تماسك الأسرة، وتقوي أواصر المجتمع.

عاشرًا: أهمية الحوار في التربية

حفلت قصة يوسف بحوارات متعددة، منها:

حوار يعقوب مع يوسف.

حوار الإخوة فيما بينهم.

حوار يوسف مع صاحبي السجن.

حواره مع الملك.

حواره مع إخوته.

وهذا يدل على أن الحوار الهادئ وسيلة فعالة في التربية والتعليم، وأن الإقناع خير من الإكراه.

حادي عشر: التربية بالقدوة

كان يوسف عليه السلام قدوة في جميع أحواله:

في العبادة.

في الأخلاق.

في الصبر.

Edit with WPS Office

في الأمانة.

في الإدارة.

في العفو.

ولذلك تأثر به من حوله، حتى قالوا:

{إنا نراك من المحسنين}.

فالقدوة الصالحة أبلغ أثرًا من كثرة المواعظ.

ثاني عشر: استثمار الأزمات في التربية

حول يوسف السجن إلى مدرسة للدعوة، وحول المحنة إلى فرصة لبناء شخصيته.

كما أن يعقوب عليه السلام حول الابتلاء إلى وسيلة لتعميق الإيمان في أسرته.

ومن هنا فإن المربي الناجح هو الذي يجعل من الأزمات فرصًا للتربية، لا أسبابًا لليأس.

ثالث عشر: بناء الشخصية المتوازنة

أخرجت القصة شخصية متوازنة تجمع بين:

الإيمان.

والعلم.

والحكمة.

Edit with WPS Office

والقوة.

والرحمة.

والعدل.

والتواضع.

وهذا هو النموذج الذي ينبغي أن تسعى التربية الإسلامية إلى بنائه.

رابع عشر: أثر التوبة في إصلاح الإنسان

لم تيأس القصة من إخوة يوسف، بل أظهرت كيف تحولت نفوسهم بـ التوبة الصادقة، حتى صاروا يعترفون بخطئهم، ويطلبون المغفرة من أبيهم.

وهذا يربي المسلم على عدم اليأس من إصلاح الناس، مهما عظمت أخطاؤهم.

خامس عشر: تطبيقات تربوية معاصرة

ومن أبرز التطبيقات العملية المستفادة من القصة في واقعنا المعاصر:

ترسيخ قيمة الحوار داخل الأسرة.

تحقيق العدل بين الأبناء في المعاملة.

تربية الأبناء على الصبر أمام الفتن.

تعزيز قيمة الأمانة في الدراسة والعمل.

Edit with WPS Office

تدريب الشباب على تحمل المسؤولية.

معالجة الغيرة والحسد بالوعي والإيمان.

غرس ثقافة العفو والإصلاح بدل الانتقام.

تنمية مهارات التخطيط وإدارة الأزمات.

خاتمة المبحث

تكشف قصة يوسف عليه السلام عن منهج تربوي متكامل، يبدأ من بناء العقيدة، ويمر بتهذيب الأخلاق، وينتهي بإعداد الإنسان الصالح القادر على قيادة نفسه ومجتمعه. وهي تؤكد أن التربية الحقيقية لا تقوم على كثرة الأوامر والنواهي، بل على القدوة الحسنة، والحوار، و الصبر، والرحمة، وربط القلوب بالله تعالى في جميع الأحوال.

ولهذا بقيت قصة يوسف عليه السلام من أعظم المراجع القرآنية في التربية، يسترشد بها الآباء والمربون والمعلمون والدعاة، ويستلهمون منها الأساليب الناجحة في صناعة الإنسان المؤمن، المتوازن، النافع لدينه وأمته.

Edit with WPS Office

المبحث الثالث

الفوائد الدعوية والمنهج الدعوي في قصة يوسف عليه السلام

دراسة تأصيلية وتطبيقية

تمهيد

تُعد قصة يوسف عليه السلام من أغنى القصص القرآني في بيان أصول الدعوة إلى الله تعالى، إذ قدمت نموذجًا عمليًا للداعية الرباني الذي يدعو إلى الله في جميع أحواله؛ في الرخاء والشدة، وفي الحرية والسجن، وفي حال الضعف والتمكين.

ولم يكن يوسف عليه السلام ينتظر الظروف المثالية للدعوة، بل كان يجعل من كل موقف فرصة لتبليغ رسالة الله، ولذلك جاءت دعوته قائمة على العلم، والحكمة، والصبر، وحسن الخلق، ومراعاة أحوال المدعوين.

أولًا: جعل التوحيد أساس الدعوة

كان أول ما دعا إليه يوسف عليه السلام هو توحيد الله سبحانه وتعالى، ولم يبدأ بالقضايا الفرعية أو المسائل الجزئية، بل ركز على أصل الدين.

قال تعالى:

﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ۝ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ [يوسف: 39-40].

Edit with WPS Office

وفي هذا بيان أن إصلاح العقيدة مقدم على غيره، وأن جميع الأنبياء اتفقوا على الدعوة إلى توحيد الله قبل كل شيء.

ثانيًا: اغتنام الفرص الدعوية

من أعظم سمات يوسف عليه السلام أنه كان يغتنم كل فرصة للدعوة.

فلما سأله صاحبا السجن عن تأويل الرؤيا، لم يقتصر على الإجابة، بل هيأ قلوبهما، ثم دعا إلى الله، ثم فسر لهما الرؤيا.

وهذا يدل على أن الداعية ينبغي أن يكون يقظًا، يستثمر المواقف اليومية في تذكير الناس بالله، دون تكلف أو تصنع.

ثالثًا: الحكمة في عرض الدعوة

اتسم خطاب يوسف عليه السلام بالحكمة والرفق، فلم يبدأ بإنكار عقائد صاحبي السجن بطريقة منفرة، وإنما خاطبهما بلطف فقال:

﴿يا صاحبي السجن﴾.

فهذا النداء يحمل معنى الألفة والقرب، ويهيئ النفس لقبول الكلام.

ثم أقام الحجة بالعقل والفطرة، فانتقل من السؤال إلى الاستدلال، ومن الاستدلال إلى بيان الحق.

وهذا هو المنهج القرآني في الدعوة، القائم على الحكمة والموعظة الحسنة.

رابعًا: تقديم القدوة قبل الموعظة

Edit with WPS Office

كان يوسف عليه السلام قدوة في أخلاقه قبل أن يكون داعية بلسانه.

وقد شهد له الناس بذلك، فقال صاحبا السجن:

﴿إنا نراك من المحسنين﴾.

وقال إخوة يوسف:

﴿إنا نراك من المحسنين﴾.

فقد سبق حسن خلقه كلامه، فكان ذلك أدعى لقبول دعوته.

ومن هنا فإن أخلاق الداعية من أعظم وسائل التأثير في الناس.

خامسًا: الصبر على طريق الدعوة

تعرض يوسف عليه السلام لأنواع متعددة من الابتلاءات، ومع ذلك لم يترك الدعوة إلى الله.

فلم يمنعه السجن من الدعوة، ولم يشغله الملك عن تبليغ الحق، ولم تغيره السلطة عن منهجه.

وهذا يعلم الدعاة أن طريق الدعوة يحتاج إلى صبر وثبات، وأن العقبات لا ينبغي أن توقف مسيرة الإصلاح.

سادسًا: الدعوة بالعمل والإحسان

لم تكن دعوة يوسف عليه السلام بالكلام وحده، بل دعا الناس بإتقانه لعمله، وعدله في حكمه، وأمانته في مسؤوليته، وإحسانه إلى من حوله.

Edit with WPS Office

وقد كان هذا التطبيق العملي سببًا في انتشار الثقة به، حتى قال الملك:

{إنك اليوم لدينا مكين أمين}.

فالداعية إذا جمع بين العلم والعمل، كان أثره في الناس أعظم وأبقى.

سابعًا: فقه الأولويات في الدعوة

علمتنا قصة يوسف أن الداعية يبدأ بالأهم فالمهم.

فقد بدأ بتوحيد الله، ثم بين بطلان الشرك، ثم أجاب عن سؤال الرؤيا.

وفي هذا دليل على أن الداعية ينبغي أن يرتب موضوعاته، فلا ينشغل بالفروع قبل ترسيخ الأصول.

ثامنًا: الدعوة إلى الإصلاح لا إلى الانتقام

لما تمكن يوسف من إخوته، لم يجعل من مكانته وسيلة للانتقام، بل جعلها وسيلة للإصلاح، وجمع شمل الأسرة، وإزالة أسباب العداوة.

وهذا يبين أن الغاية من الدعوة هداية الناس وإصلاحهم، لا التشفي منهم أو تعنيفهم.

تاسعًا: حسن مخاطبة المخالف

تميز يوسف عليه السلام بحسن الخطاب مع جميع من تعامل معهم:

مع صاحبي السجن.

Edit with WPS Office

مع الملك.

مع امرأة العزيز.

مع إخوته.

مع والديه.

فكان يخاطب كل واحد بما يناسب حاله، ويختار الألفاظ اللينة، ويبتعد عن الغلظة وسوء الأدب.

وهذا من أسباب نجاح الدعوة وقبولها.

عاشرًا: الجمع بين الدعوة وإصلاح المجتمع

لم تقتصر رسالة يوسف عليه السلام على إصلاح الأفراد، بل امتدت إلى إصلاح المجتمع كله.

فقد أنقذ البلاد من المجاعة بحسن التخطيط، وأقام العدل، وحفظ أموال الناس، وحقق الأمن الغذائي.

وفي هذا دليل على أن الدعوة تشمل إصلاح الدين والدنيا معًا، وأن خدمة الناس من أعظم أبواب الدعوة إلى الله.

حادي عشر: تطبيقات دعوية معاصرة

ومن أبرز التطبيقات العملية المستفادة من قصة يوسف عليه السلام في واقع الدعوة اليوم:

تقديم العقيدة الصحيحة على المسائل الفرعية.

Edit with WPS Office

استثمار وسائل التواصل الحديثة في نشر العلم والدعوة.

مخاطبة الناس بلغة يفهمونها، مع الرفق وحسن الأسلوب.

الجمع بين العلم الشرعي والأخلاق الحسنة.

الصبر على النقد والأذى وعدم استعجال النتائج.

الاهتمام بإصلاح الأسرة والشباب.

تقديم القدوة العملية في الحياة اليومية.

ربط الناس بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

توظيف الخبرات الإدارية والاجتماعية في خدمة الدعوة.

ترسيخ ثقافة العفو والإصلاح والتسامح في المجتمع.

ثاني عشر: أقوال العلماء

قال الإمام ابن كثير: إن يوسف عليه السلام قدّم الدعوة إلى توحيد الله على تعبير الرؤيا، لأن هداية القلوب أعظم من معرفة الغيب.

وقال الإمام الطبري: في خطاب يوسف لصاحبي السجن دليل على أن الداعية يبدأ بالأصول التي ينبني عليها الدين كله.

وقال الإمام القرطبي: تضمنت قصة يوسف أصولًا عظيمة في الدعوة ، منها الحكمة، والرفق، والصبر، وحسن مخاطبة الناس، وتقديم الأهم على المهم.

خاتمة المبحث

Edit with WPS Office

لقد قدم يوسف عليه السلام نموذجًا خالدًا للداعية الرباني الذي جمع بين صفاء العقيدة، وحسن الخلق، وسعة العلم، والصبر على البلاء، وا لإحسان إلى الناس. ولم تكن دعوته مقصورة على الوعظ، بل ظهرت في سلوكه، وعدله، وأمانته، وعفوه، وحكمته في إدارة شؤون المجتمع.

ومن ثم فإن قصة يوسف عليه السلام تبقى مدرسة دعوية متكاملة، يستفيد منها العلماء والدعاة والمربون، وتؤكد أن نجاح الدعوة لا يتحقق بكثرة الكلام وحده، وإنما بالإخلاص لله، والعلم النافع، و العمل الصالح، والرحمة بالخلق، والثبات على الحق حتى يحقق الله وعده، فإن العاقبة للمتقين.

خاتمة الفصل التاسع

يتضح من هذا الفصل أن قصة يوسف عليه السلام لم تكن مجرد عرض لأحداث تاريخية، بل كانت منهجًا ربانيًا متكاملًا في بناء العقيدة، وتهذيب النفوس، وإعداد الدعاة، وإصلاح المجتمع. فقد جمعت بين الإيمان العميق، والتربية الحكيمة، والدعوة الرشيدة، حتى أصبحت من أعظم النماذج القرآنية التي يستلهم منها المسلمون في كل عصر مبادئ الثبات، والصبر، والإحسان، والإصلاح.

Edit with WPS Office

الفصل العاشر

Edit with WPS Office

أهم الشبهات المثارة حول قصة يوسف عليه السلام والرد عليها

تمهيد

تُعد قصة يوسف عليه السلام من أكثر قصص القرآن الكريم تعرضًا لتأويلات خاطئة وشبهات يثيرها بعض المستشرقين، وأصحاب المناهج المادية، وبعض الطاعنين في القرآن الكريم، سواء بدعوى مخالفة القصة للواقع التاريخي، أو بدعوى وجود إشكالات عقدية أو أخلاقية فيها، أو بسبب سوء فهم بعض الآيات.

وقد تصدى علماء الإسلام قديمًا وحديثًا لهذه الشبهات، فبينوا بطلا نها اعتمادًا على القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وأقوال أئمة التفسير، وقواعد اللغة العربية، مع بيان أن القرآن كتاب هداية، وأن ما يورده من أخبار الأنبياء حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وسنتناول في هذا الفصل أشهر هذه الشبهات، مع بيان الرد العلمي عليها.

المبحث الأول

شبهة تفضيل يعقوب عليه السلام ليوسف على إخوته

الشبهة

يزعم بعضهم أن يعقوب عليه السلام كان سببًا في وقوع الحسد بين أبنائه؛ لأنه كان يفضل يوسف وأخاه على بقية إخوته، وأن هذا يتعارض مع العدل الذي يجب أن يتحلى به الأنبياء.

Edit with WPS Office

الجواب

هذه الشبهة ناشئة عن عدم التفريق بين المحبة القلبية والعدل في المعاملة.

فالمحبة القلبية لا يملكها الإنسان، ولذلك كان النبي ﷺ يقول:

«اللّهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

وكان يوسف أصغر سنًا، وفقد أمه، وظهرت عليه علامات النبوة و الذكاء، فكان يعقوب يشفق عليه ويعتني به، ولم يثبت في القرآن ولا في السنة أنه ظلم بقية أبنائه أو منعهم حقوقهم.

كما أن حسد الإخوة كان نابعًا من ضعف نفوسهم، لا من ظلم أبيهم.

المبحث الثاني

شبهة وقوع يوسف عليه السلام في الهم بالمعصية

الشبهة

يستدل بعض الطاعنين بقوله تعالى:

﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: 24]، ويزعمون أن يوسف عليه السلام عزم على ارتكاب الفاحشة.

الجواب

هذه من أشهر الشبهات، وقد تكلم فيها علماء التفسير بإسهاب.

وأصح الأقوال أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الفواحش.

Edit with WPS Office

وقد اختلف المفسرون في معنى ﴿وهم بها﴾، وأقوى الأقوال أن همّ يوسف كان همًّا عارضًا من مقتضى الطبيعة البشرية، لم يتحول إلى عزم ولا إلى فعل، ثم صرفه الله عنه قبل وقوع شيء، بدليل قوله تعالى:

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.

فمدح الله يوسف بالعصمة والإخلاص، ولا يمكن أن يجتمع هذا المدح مع ارتكاب الفاحشة.

ويرى جماعة من المحققين أن جواب «لولا» محذوف، والمعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلما رأى البرهان لم يقع منه همٌّ أصلًا.

المبحث الثالث

شبهة سجن يوسف ظلمًا مع أنه بريء

الشبهة

يقول بعض المشككين: كيف يترك الله نبيه البريء في السجن سنوات طويلة؟

الجواب

الابتلاء سنة إلهية جارية في جميع الأنبياء.

فقد ابتلي نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة و السلام.

ولم يكن السجن عقوبة ليوسف، بل كان مرحلة من مراحل الإعداد و

Edit with WPS Office

التمكين، وفيه دعا إلى الله، وعرفه الناس بالأمانة والعلم، ومنه كانت بداية انتقاله إلى إدارة خزائن مصر.

ومن هنا يتبين أن البلاء لا يدل على غضب الله، بل قد يكون دليلًا على رفعة المنزلة.

المبحث الرابع

شبهة استعمال يوسف الحيلة في احتجاز أخيه

الشبهة

يزعم بعضهم أن يوسف عليه السلام استخدم الخداع ليحتجز أخاه بنيامين.

الجواب

لم يكذب يوسف، ولم يظلم أحدًا.

فقد جرت الإجراءات وفق النظام الذي رضي به إخوة يوسف أنفسهم عندما قالوا إن جزاء السارق أن يؤخذ في رحله.

وكان ما فعله يوسف تنفيذًا لخطة مباحة أذن الله بها لتحقيق مصلحة راجحة، وهي جمع شمل الأسرة، ولم يكن بقصد الاعتداء أو أكل الحقوق.

كما قال تعالى:

﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ [يوسف: 76]، أي أن الله ألهمه هذا التدبير المشروع.

Edit with WPS Office

خاتمة المبحث

تكشف هذه الشبهات أن أكثر الاعتراضات على قصة يوسف ترجع إلى سوء الفهم، أو اقتطاع النصوص من سياقها، أو إهمال كلام أهل العلم. وعند جمع الآيات، والنظر في مقاصد السورة، وأقوال المفسرين، يظهر انسجام القصة وكمالها، وأنها من أعظم دلائل صدق القرآن الكريم.

المبحث الثاني

الشبهات التاريخية حول قصة يوسف عليه السلام والرد عليها

تمهيد

أثار بعض المستشرقين والباحثين المعاصرين عددًا من الشبهات التاريخية حول قصة يوسف عليه السلام، زاعمين أنها لا تنسجم مع ما وصل إليه علم الآثار أو مع بعض الروايات التاريخية القديمة. وقد اعتمد كثير من هذه الاعتراضات على الظنون، أو على معلومات أثرية غير مكتملة، أو على مقارنة القرآن الكريم بكتب حُرِّفت عبر الزمن.

والمنهج العلمي الصحيح يقتضي أن يكون القرآن الكريم هو الأصل

Edit with WPS Office

الذي تُوزن به الروايات التاريخية، لأن المسلمين يؤمنون بأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الشبهة الأولى

لماذا لم يذكر القرآن اسم ملك مصر، بينما ذكرت التوراة أنه فرعون؟

الشبهة

يقول بعض المستشرقين: إن القرآن أخطأ عندما أطلق على حاكم مصر في زمن يوسف لقب «الملك»، بينما اشتهرت تسمية حكام مصر بـ«الفراعنة».

الرد

هذه الشبهة في الحقيقة تُعد من دلائل إعجاز القرآن الكريم، لا من مواضع النقد.

فالقرآن الكريم استعمل لفظ ﴿الملك﴾ في قصة يوسف، فقال تعالى:

﴿وقال الملك ائتوني به﴾ [يوسف: 50].

أما في قصة موسى عليه السلام فقد استعمل لفظ «فرعون» في جميع المواضع.

وقد أثبتت الدراسات التاريخية الحديثة أن حكام مصر في الفترة التي يُرجح أن يوسف عليه السلام عاش فيها لم يكونوا يُعرفون بلقب «فرعون» بالمعنى الذي اشتهر في العصور اللاحقة، وإنما كان هذا اللقب قد شاع استعماله الرسمي في مراحل تاريخية متأخرة، و لا سيما في عصر الدولة الحديثة.

Edit with WPS Office

وهذا التمييز الدقيق بين «الملك» و«فرعون» لم يكن معروفًا عند العرب زمن نزول القرآن، مما يُعد شاهدًا على دقة التعبير القرآني.

الشبهة الثانية

هل وقع في مصر بالفعل قحط استمر سبع سنوات؟

الشبهة

يزعم بعض المشككين أن التاريخ المصري لا يثبت وقوع مجاعة استمرت سبع سنوات كما ورد في سورة يوسف.

الرد

عدم وجود سجل أثري كامل لا يعني عدم وقوع الحدث؛ فمعظم أحداث التاريخ القديم لم تصل إلينا بصورة كاملة.

كما أن المصادر المصرية القديمة لم تكن تسجل كل الوقائع الا قتصادية أو الاجتماعية، بل كان كثير منها يركز على انتصارات الملوك وأعمالهم.

وقد عرفت مصر عبر تاريخها القديم فترات متكررة من انخفاض فيضان النيل، ترتب عليها الجفاف ونقص المحاصيل، وهو ما يجعل وقوع مثل هذه الأزمة أمرًا ممكنًا من الناحية التاريخية.

ثم إن خبر القرآن الكريم مقدم عند المؤمن على ما قد يوجد أو لا يوجد من الشواهد الأثرية.

الشبهة الثالثة

هل يمكن لشخص أجنبي أن يتولى خزائن مصر؟

Edit with WPS Office

الشبهة

يقول بعضهم: كيف يتولى يوسف، وهو غريب عن مصر، منصبًا بهذا الحجم؟

الرد

لا يوجد ما يمنع ذلك عقلا ً أو تاريخًا.

فقد عرفت مصر القديمة وجود مسؤولين من أصول غير مصرية في بعض العصور، خاصة في الفترات التي شهدت انفتاحًا سياسيًا أو اقتصاديًا.

ثم إن يوسف لم يُعيّن بسبب نسبه، وإنما بسبب علمه وأمانته.

قال تعالى:

﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: 55].

فقد جمع بين الأمانة والكفاءة، وهما الشرطان الأساسيان لتولي الولا يات في الإسلام.

الشبهة الرابعة

هل كانت رؤيا الملك سببًا منطقيًا لتولي يوسف الوزارة؟

الشبهة

يرى بعض الطاعنين أن تفسير رؤيا لا يكفي لتولي منصب إدارة الدولة.

الرد

Edit with WPS Office

لم يكن تفسير الرؤيا وحده سببًا في ذلك، بل كان بداية للتعرف إلى شخصية يوسف.

فقد ظهر للملك:

صدق يوسف.

وعلمه.

وبعد نظره.

وحكمته في إدارة الأزمة.

ونزاهته بعد ثبوت براءته.

كما أن يوسف قدم خطة اقتصادية متكاملة لإدارة سنوات الرخاء و الجدب، مما أظهر كفاءته الإدارية، فأصبح اختياره قائمًا على الجدارة ، لا على مجرد تفسير الرؤيا.

الشبهة الخامسة

هل تتعارض قصة يوسف مع الحقائق التاريخية؟

الرد

الجواب: لا.

بل إن كثيرًا من التفاصيل التي وردت في القرآن تتفق مع ما عرفه الباحثون عن نظم الحكم، والاقتصاد، وإدارة المخازن، والزراعة، وأحوال المجاعات في مصر القديمة.

كما أن عدم العثور على دليل أثري لحدث معين لا ينفي وقوعه؛ لأن

Edit with WPS Office

علم الآثار لا يزال يكتشف الجديد باستمرار، وما وصل إليه الباحثون لا يمثل جميع تاريخ الحضارات القديمة.

ولهذا فإن المنهج العلمي يقتضي التوقف فيما لا يوجد عليه دليل قاطع، لا بناء أحكام بالنفي المطلق.

الضوابط العلمية في التعامل مع الشبهات التاريخية

ينبغي مراعاة عدة قواعد عند دراسة هذه المسائل، منها:

القرآن الكريم هو المصدر الأصدق في أخبار الأنبياء.

لا يجوز رد النصوص القطعية بسبب فرضيات تاريخية متغيرة.

كثير من الدراسات الأثرية تقوم على الترجيح، لا على اليقين.

يجب الجمع بين الأدلة الشرعية والحقائق التاريخية الثابتة دون تعارض أو تكلف.

التفريق بين الحقائق العلمية الراسخة وبين النظريات أو الفرضيات التي قد تتغير.

أقوال العلماء

قال الإمام ابن كثير: أخبار الأنبياء التي وردت في القرآن حق لا شك فيه، وما خالفها من الروايات يُرد أو يُتوقف فيه بحسب حاله.

وقال الإمام الطبري: الواجب حمل أخبار القرآن على ظاهرها الصحيح ما لم يقم دليل معتبر يصرفها عن ذلك.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان: لا يمكن أن يقع تعارض حقيقي

Edit with WPS Office

بين الوحي الصحيح والحقائق الثابتة، وإنما يكون التعارض بين الوحي وبين الظنون أو الفهوم الخاطئة.

خاتمة المبحث

يتبين من خلال مناقشة هذه الشبهات أن قصة يوسف عليه السلام متماسكة من الناحية التاريخية، وأن كثيرًا مما أُثير حولها إنما هو مبني على فرضيات أو استنتاجات غير يقينية. كما أن ما كشفته الدراسات الحديثة في تاريخ مصر القديمة زاد من وضوح عدد من الجوانب التي وردت في القرآن الكريم، وأكد دقة تعبيره في مواضع عديدة.

وسنتناول في المبحث الثالث الشبهات المتعلقة بعصمة الأنبياء في قصة يوسف عليه السلام، مع الرد عليها من القرآن الكريم والسنة وأقوال أهل العلم.

المبحث الثالث

الشبهات المتعلقة بعصمة الأنبياء في قصة يوسف عليه السلام والرد عليها

تمهيد

Edit with WPS Office

تُعد عقيدة عصمة الأنبياء من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ومقتضاها أن الله تعالى عصم أنبياءه ورسله فيما يبلغونه عنه، وعصمهم من الكبائر والرذائل التي تقدح في مقام النبوة، كما عصمهم من الإقرار على الخطأ، فإذا وقع من بعضهم اجتهاد غير الأولى نبّههم الله إليه وصوّبه.

وقد أثار بعض المشككين عددًا من الشبهات حول قصة يوسف عليه السلام، زاعمين أنها تتعارض مع عصمة الأنبياء، والحق أن هذه الشبهات ناشئة عن سوء الفهم، أو عن إغفال أقوال أئمة التفسير، أو عن تحميل النصوص ما لا تحتمل.

الشبهة الأولى

قوله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾

الشبهة

يقول بعض الطاعنين إن هذه الآية تدل على أن يوسف عليه السلام أراد ارتكاب الفاحشة، وأن ذلك يناقض عصمة الأنبياء.

الرد

هذه الآية من أكثر آيات سورة يوسف تناولًا عند المفسرين، وقد تعددت أقوالهم فيها، وأصحها ما يأتي:

أولًا: أن امرأة العزيز عزمت على الفاحشة عزماً جازمًا، أما يوسف عليه السلام فقد عصمه الله قبل أن يقع في معصية.

ثانيًا: قوله تعالى بعد ذلك مباشرة:

Edit with WPS Office

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: 24].

وهذه شهادة من اللّه تعالى ببراءة يوسف، وأن اللّه صرف عنه دواعي السوء والفاحشة.

ثالثًا: ذهب عدد من المحققين إلى أن جواب «لولا» محذوف، و المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلما رأى برهان ربه لم يقع منه همٌ أصلا ً.

وعلى جميع الأقوال المعتبرة عند أهل السنة، فإن يوسف عليه السلا م لم يقع في فاحشة، ولم يعزم على معصية تنافي مقام النبوة.

الشبهة الثانية

طلب يوسف الولاية

الشبهة

يقول بعضهم إن يوسف طلب المنصب بنفسه، وهذا يخالف النهي الوارد في طلب الإمارة.

قال تعالى:

﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: 55].

الرد

النهي عن طلب الإمارة إنما هو فيمن يطلبها للدنيا أو حب الرياسة.

أما يوسف عليه السلام فقد طلب هذا المنصب لمصلحة عامة، وهي

Edit with WPS Office

حفظ أقوات الناس، وإدارة سنوات المجاعة بحكمة وعدل.

كما أنه بيّن مؤهلاته فقال:

﴿إني حفيظ عليم﴾.

أي: أمين على الأموال، وعليم بتدبيرها.

ولهذا قرر العلماء أنه يجوز للإنسان أن يذكر كفاءته إذا اقتضت المصلحة ذلك، وخاصة إذا لم يوجد من يقوم بالمهمة على الوجه المطلوب.

الشبهة الثالثة

احتجاز يوسف لأخيه بنيامين

الشبهة

يزعم بعض المشككين أن يوسف عليه السلام احتال على إخوته حتى يحتجز أخاه، وأن ذلك لا يليق بنبي.

الرد

لم يكن ما فعله يوسف ظلمًا ولا كذبًا.

فقد جعل السقاية في رحل أخيه بوحي من الله وتدبيره، كما قال سبحانه:

﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ [يوسف: 76].

ثم إن الحكم الذي طُبق لم يفرضه يوسف، بل أقر به إخوته عندما قالوا:

Edit with WPS Office

{جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه}.

فكان تنفيذ الحكم وفق ما التزموا به هم أنفسهم، ولم يكن فيه اعتداء على حق أحد.

الشبهة الرابعة

لماذا لم يخبر يوسف أباه بحقيقته منذ البداية؟

الشبهة

يقول بعض الناس: لماذا ترك يوسف أباه يعقوب عليه السلام سنوات طويلة في الحزن، ولم يرسل إليه خبرًا عندما أصبح عزيز مصر؟

الرد

هذه المسألة من الأمور التي لم يبين القرآن تفاصيلها، ولا يجوز الجزم فيها بغير دليل.

وأقرب ما يقال:

أن يوسف كان يسير وفق تدبير إلهي أراده الله لإتمام حكمته.

وأن الظروف السياسية والإدارية ربما لم تمكنه من التواصل في بداية الأمر.

وأن الله أراد أن تتحقق الرؤيا في الوقت الذي قدره سبحانه.

والأصل أن الأنبياء لا يفعلون ما يخالف أمر الله تعالى، وما سكت عنه القرآن نتوقف فيه ولا نتكلف الجواب بغير علم.

الشبهة الخامسة

Edit with WPS Office

قول يوسف: ﴿اذكرني عند ربك﴾

الشبهة

استدل بعضهم بقوله تعالى:

﴿وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك﴾ [يوسف: 42].

وزعموا أن يوسف اعتمد على البشر ونسي التوكل على الله.

الرد

هذا الاستدلال غير صحيح.

فطلب الأسباب المشروعة لا ينافي التوكل على الله، بل هو من كمال التوكل.

فقد أمر الله بالأخذ بالأسباب في مواضع كثيرة، مع الاعتماد القلبي عليه سبحانه.

ولذلك فإن طلب يوسف من الساقي أن يذكره عند الملك كان سببًا مشروعًا، ولم يكن اعتمادًا على غير الله.

ضوابط أهل السنة في عصمة الأنبياء

ومن أهم الضوابط التي قررها علماء أهل السنة:

الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة.

معصومون من الكبائر والرذائل التي تنفر الناس عن دعوتهم.

قد يقع منهم اجتهاد في غير التشريع، فينبههم الله إلى الأولى.

Edit with WPS Office

لا يجوز تفسير النصوص بما ينتقص من مقام الأنبياء.

يجب جمع الآيات في الموضوع الواحد وعدم اقتطاع بعضها عن بعض.

أقوال العلماء

قال الإمام ابن كثير: إن الله شهد ليوسف عليه السلام بالإخلاص و الطهارة، فلا يجوز حمل الآيات على ما يقدح في عصمته.

وقال الإمام القرطبي: أجمع المسلمون على براءة يوسف عليه السلام من الفاحشة، وأن ما وقع منه لا يقدح في نبوته.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأنبياء هم أكمل الناس إيمانًا، وأعظمهم طاعة لله، وما يقع منهم لا يخرجهم عن مقام العصمة الذي اختصهم الله به.

خاتمة المبحث

إن التأمل المنصف في آيات سورة يوسف يبين أن القرآن الكريم لم يذكر هذه المواقف للطعن في مقام النبوة، بل لإظهار كمال يوسف عليه السلام، وثباته أمام الفتن، وعفته، وصبره، وحكمته. وكل شبهة أثيرت حول عصمته تجد جوابها في القرآن نفسه، وفي تفسير السلف، وقواعد أهل السنة والجماعة.

ومن هنا يتأكد أن قصة يوسف ليست فقط قصة ابتلاء وتمكين، بل هي أيضًا دليل واضح على منزلة الأنبياء، وعناية الله بهم، وحفظه لهم من كل ما يقدح في رسالتهم.

Edit with WPS Office

وبذلك يبقى في الفصل العاشر المبحث الرابع: الشبهات التي أثارها المستشرقون والمنكرون حول قصة يوسف عليه السلام والرد عليها، ثم خاتمة الفصل العاشر.

المبحث الرابع

الشبهات التي أثارها المستشرقون والمنكرون حول قصة يوسف عليه السلام والرد عليها

تمهيد

تعد قصة يوسف عليه السلام من أكثر قصص القرآن الكريم التي تناولها المستشرقون بالنقد والتحليل، وقد حاول بعضهم التشكيك في مصدرها، والادعاء بأنها مقتبسة من أسفار العهد القديم، أو أنها مجرد قصة أدبية لا تمثل واقعًا تاريخيًا، أو أنها تضمنت ما يخالف العقل والمنطق.

وقد تصدى علماء المسلمين لهذه الدعاوى منذ وقت مبكر، وأثبتوا أن هذه الشبهات تقوم على مناهج غير علمية، وأنها تتجاهل الفروق الجوهرية بين القرآن الكريم والكتب السابقة، كما تغفل الخصائص البلاغية والتشريعية والعقدية التي امتازت بها سورة يوسف.

Edit with WPS Office

الشبهة الأولى

زعم اقتباس قصة يوسف من التوراة

الشبهة

يدعي بعض المستشرقين أن قصة يوسف الواردة في القرآن الكريم ليست وحيًا من عند الله، وإنما اقتبسها النبي محمد ﷺ من سفر التكوين في التوراة.

الرد

هذا الادعاء مردود من عدة وجوه:

أولًا: القرآن الكريم يقرر أنه وحي من عند الله تعالى، قال سبحانه:

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف: 3].

ثانيًا: توجد فروق كبيرة بين الرواية القرآنية والرواية الموجودة في التوراة الحالية، فالقرآن ينزه الأنبياء عن النقائص والرذائل، بينما تنسب بعض الأسفار المحرفة إلى الأنبياء ما لا يليق بمقامهم.

ثالثًا: جاءت القصة القرآنية في غاية الترابط والإيجاز والسمو البلاغي، وخالية من التناقضات والأساطير التي تسربت إلى بعض الروايات الأخرى.

رابعًا: كان النبي ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يعرف عنه تعلم كتب أهل الكتاب، كما شهد بذلك أعداؤه قبل أصحابه.

Edit with WPS Office

الشبهة الثانية

الزعم بأن قصة يوسف مجرد قصة أدبية

الشبهة

يرى بعض المنكرين أن قصة يوسف ليست حادثة تاريخية، وإنما قصة رمزية صيغت لأغراض أخلاقية.

الرد

هذا القول يخالف النصوص القطعية؛ فالقرآن الكريم يعرض القصة باعتبارها واقعًا تاريخيًا، ويذكر أسماء الأشخاص، وتسلسل الأحداث، والوقائع، دون أن يشير إلى أنها من باب الرمز أو الخيال.

كما أن الله تعالى ختم السورة بقوله:

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: 111].

والعبرة لا تمنع من كون القصة حقيقية، بل تزيدها أثرًا في النفوس.

الشبهة الثالثة

الاعتراض على وجود المعجزات في القصة

الشبهة

ينكر بعض أصحاب الفكر المادي المعجزات الواردة في القصة، مثل رؤى يوسف، وتأويل الأحلام، وعودة بصر يعقوب عليه السلام عند إلقاء القميص على وجهه.

الرد

Edit with WPS Office

المعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد نبي من أنبيائه تأييدًا له ، وهي لا تخضع للمقاييس المادية المعتادة.

فالمؤمن يثبتها لإثبات القرآن لها، مع اعتقاده أن الله سبحانه على كل شيء قدير.

أما رد المعجزات بحجة مخالفتها للمألوف، فهو في حقيقته إنكار لقدرة الله تعالى.

الشبهة الرابعة

الزعم بوجود تناقض في أحداث القصة

الشبهة

يدعي بعض المشككين أن هناك تناقضًا بين بعض أحداث قصة يوسف.

الرد

الواقع أنه لا يوجد أي تناقض حقيقي، وإنما تنشأ هذه الدعاوى من اقتطاع الآيات من سياقها، أو سوء فهم أساليب اللغة العربية.

وقد أجمع المفسرون على أن أحداث السورة جاءت في تسلسل زمني متماسك، يبدأ بالرؤيا وينتهي بتحققها، دون اضطراب أو تعارض.

بل إن سورة يوسف تمتاز عن كثير من السور بأنها عرضت القصة كاملة في سياق واحد، مما يظهر وحدة بنائها ودقة ترتيبها.

الشبهة الخامسة

Edit with WPS Office

الزعم بأن القصة تخالف العقل

الشبهة

يشكك بعض المنكرين في بعض تفاصيل القصة بدعوى أنها لا يقبلها العقل.

الرد

العقل الصريح لا يعارض الوحي الصحيح، وإنما يقع التعارض بين الوحي وبين الأوهام أو التصورات الخاطئة.

وقد قرر علماء الإسلام أن العقل وسيلة لفهم النصوص، وليس حاكمًا عليها إذا ثبتت صحتها.

كما أن كثيرًا مما كان يُستبعد قديمًا أثبت الواقع إمكان وقوعه، مما يدل على أن محدودية المعرفة البشرية لا تصلح معيارًا لرد أخبار الوحي.

المنهج الصحيح في التعامل مع الشبهات

ينبغي للمسلم عند سماع الشبهات أن يلتزم بعدة ضوابط، منها:

رد المتشابه إلى المحكم.

الرجوع إلى تفسير السلف وأئمة أهل السنة.

جمع جميع النصوص المتعلقة بالمسألة الواحدة.

عدم الاعتماد على أقوال المستشرقين دون تمحيص.

التثبت من صحة المعلومات التاريخية والعلمية.

Edit with WPS Office

تقديم النصوص القطعية على الظنون والاحتمالات.

إحسان الظن بكتاب الله تعالى، واليقين بكماله.

أقوال العلماء

قال الإمام ابن كثير: القرآن الكريم أصدق الكتب خبرًا، وأحسنها بيانًا، وما خالفه من الروايات فلا يقبل إلا إذا وافقه الدليل الصحيح.

وقال الإمام الشنقيطي: لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، وإنما يقع التعارض مع الفهم الخاطئ أو الدليل غير الثابت.

وقال الدكتور محمد أبو شهبة: إن الشبهات التي يثيرها المستشرقون حول قصص القرآن تقوم في الغالب على الانتقاء، وإهمال قواعد التفسير، وإغفال خصائص البيان القرآني.

خاتمة المبحث

يتبين من خلال دراسة هذه الشبهات أن قصة يوسف عليه السلام تظل من أوضح الأدلة على صدق القرآن الكريم، وإحكام نظمه، وسمو مقاصده. فما أثاره المستشرقون والمنكرون لم يصمد أمام البحث العلمي الرصين، بل كشف عن ضعف مناهجهم واعتمادهم على الفرضيات والظنون أكثر من اعتمادهم على الأدلة الصحيحة.

ومن ثم فإن الواجب على الباحث المسلم أن يجمع بين الثقة بوحي الله، والمنهج العلمي الدقيق، والرجوع إلى المصادر المعتبرة، حتى يكون قادرًا على بيان الحق، ودفع الشبهات بالحجة والبرهان.

خاتمة الفصل العاشر

Edit with WPS Office

وبهذا يكتمل الفصل العاشر، الذي تناول أبرز الشبهات المثارة حول قصة يوسف عليه السلام، سواء ما تعلق بعصمة الأنبياء، أو بالجوانب التاريخية، أو بما أثاره المستشرقون والمنكرون، مع الرد عليها ردًا علميًا مؤصلًا قائمًا على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال أئمة التفسير والعقيدة.

وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن جميع الشبهات المثارة لا تقوم على دليل صحيح، وأنها تزول بالرجوع إلى النصوص الشرعية، وفهمها وفق منهج أهل السنة والجماعة، مما يزيد المؤمن يقينًا بعظمة القرآن الكريم، وصدق أخباره، وكمال هدايته، وأن قصة يوسف عليه السلام ستظل من أعظم النماذج القرآنية في ترسيخ الإ يمان، والصبر، والتوحيد، والعفة، والإصلاح.

شبهات أخرى والرد عليها:

هل كان سجود إخوة يوسف عبادة؟

قال الله تعالى:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100].

Edit with WPS Office

الشبهة

استدل بعض المشككين بهذه الآية على جواز السجود لغير الله، أو زعموا أن إخوة يوسف ووالديه عبدوه بالسجود، وهذا يناقض أصل التوحيد.

الرد

هذه الشبهة باطلة من وجوه:

أولًا: اتفق علماء المسلمين على أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة، وإنما كان سجود تحية وتكريم، وهو نوع من التعظيم كان مشروعًا في بعض الشرائع السابقة، كما كان السلام في شريعتنا تحيةً مشروعة.

ثانيًا: سجود العبادة لا يكون إلا لله تعالى، وهو أصل ثابت في جميع الرسالات، قال تعالى:

﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

ثالثًا: جاءت شريعة الإسلام بنسخ سجود التحية، فأصبح السجود بجميع أنواعه عبادةً لا تصرف إلا لله سبحانه.

وقد ثبت أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سجد للنبي ﷺ نهاه عن ذلك، وقال:

«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، فدل الحديث على أن السجود لغير الله ممنوع في شريعة الإسلام.

أقوال العلماء

Edit with WPS Office

قال الإمام الطبري: كان سجودهم سجود تحية لا سجود عبادة.

وقال الإمام القرطبي: أجمع المسلمون على أن هذا السجود كان جائزًا في شريعتهم، ثم نسخه الله في شريعة محمد ﷺ.

وقال الإمام ابن كثير: كان ذلك إكرامًا ليوسف، وتحقيقًا للرؤيا التي رآها وهو صغير.

معنى همّ يوسف عليه السلام

قال تعالى:

﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: 24].

الشبهة

يدعي بعض الطاعنين أن يوسف عليه السلام همّ بارتكاب الفاحشة، وأن هذا ينافي مقام النبوة.

الرد

هذه الآية من أكثر آيات القرآن التي تكلم فيها المفسرون، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن يوسف عليه السلام لم يقع في الفاحشة، وأن الله عصمه منها.

وأقوى الأقوال في تفسير الآية:

أن امرأة العزيز عزمت على المعصية عزمًا جازمًا.

Edit with WPS Office

أما يوسف فقد صرفه الله عنها قبل وقوع أي معصية.

وقوله تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ شهادة من الله بطهارته وعصمته.

وقوله: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ من أعظم أدلة براءته.

وقد رجح عدد من المحققين أن جواب «لولا» محذوف، والمعنى: لو لا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلما رأى برهان ربه لم يقع منه همٌ أصلاً.

أقوال العلماء

قال الإمام ابن كثير: شهد الله ليوسف بالطهارة والإخلاص، فلا يجوز حمل الآية على ما يقدح في عصمته.

وقال ابن تيمية: يوسف عليه السلام لم يفعل فاحشة، بل كان من أكمل الناس عفةً وصيانةً.

حقيقة مراودة امرأة العزيز

قال تعالى:

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾ [يوسف: 23].

الشبهة

يزعم بعض المستشرقين أن القرآن يصور علاقة عاطفية متبادلة بين

Edit with WPS Office

يوسف وامرأة العزيز.

الرد

هذا الادعاء مخالف لصريح القرآن.

فالآيات تبين أن المبادرة كانت من امرأة العزيز وحدها، فهي التي:

راودت يوسف.

وأغلقت الأبواب.

ودعته إلى الفاحشة.

وهددته بالسجن إن لم يستجب لها.

أما يوسف عليه السلام فقد كان موقفه واضحًا منذ اللحظة الأولى، فقال:

﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾.

ثم هرب منها، وسابقها إلى الباب، وشهد شاهد من أهلها ببراءته، ثم اعترفت هي نفسها بعد ذلك فقالت:

﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ [يوسف: 51].

وهذا اعتراف صريح يقطع كل شبهة، ويثبت أن يوسف كان بريئًا مما نُسب إليه.

الفوائد المستنبطة

Edit with WPS Office

وجوب الفرار من أسباب الفتنة.

الاستعاذة بالله عند نزول الشهوات.

أن العفة سبب لرفعة المؤمن.

أن الصبر على الطاعة أعظم من الاستجابة للهوى.

عصمة الأنبياء في قصة يوسف عليه السلام

مفهوم العصمة

العصمة هي حفظ الله لأنبيائه من الكذب في تبليغ الرسالة، ومن الكبائر والرذائل التي تنفر الناس عن اتباعهم، مع توفيقهم للحق وتسديدهم إذا وقع منهم اجتهاد.

أدلة العصمة في قصة يوسف

تظهر عصمة يوسف عليه السلام في مواضع كثيرة، منها:

حفظه من الوقوع في الفاحشة.

صدقه في جميع مواقفه.

أمانته في إدارة خزائن مصر.

عفته مع امرأة العزيز.

عدله مع الناس.

عفوه عن إخوته.

Edit with WPS Office

تواضعه عند التمكين.

وقد شهد الله له بقوله:

{إنه من عبادنا المخلصين}.

وشهد له شاهد من أهل المرأة.

وشهدت امرأة العزيز نفسها ببراءته.

وشهد له الملك بالأمانة والكفاءة.

وشهد له إخوته بالإحسان.

الرد على الشبهات

كل ما استدل به المشككون مردود بالقرآن نفسه؛ لأن الآيات يفسر بعضها بعضًا، ولا يجوز اقتطاع جزء من الآية وإهمال بقيتها.

وقد أجمع علماء أهل السنة على أن يوسف عليه السلام لم يرتكب ما يقدح في نبوته، وأن جميع ما وقع له كان ابتلاءً أكرمه الله بعده بـ التمكين والعزة.

أقوال العلماء

قال الإمام القرطبي: الأنبياء منزهون عن الفواحش بإجماع الأمة.

وقال الإمام ابن كثير: قصة يوسف من أعظم الأدلة على كمال عفة ا لأنبياء وصبرهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: من اعتقد في يوسف ما يناقض ما

Edit with WPS Office

أثنى الله به عليه فقد أخطأ في فهم القرآن.

خاتمة الفصل

بعد دراسة هذه الشبهات يتبين أن جميعها ناشئ عن سوء الفهم أو إغفال منهج أهل العلم في تفسير القرآن الكريم. فالآيات المحكمة، وأقوال المفسرين، والأحاديث الصحيحة، كلها تؤكد أن يوسف عليه السلام كان نبيًا كريمًا، طاهر القلب، عفيف النفس، محفوظًا بعناية الله تعالى، وأن ما جرى له كان امتحانًا إلهيًا انتهى بالتمكين والعزة.

وتبقى قصة يوسف عليه السلام شاهدًا خالدًا على أن القرآن الكريم يقدم أنبياء الله في أكمل صورة تليق بمقامهم، ويغرس في المؤمنين معاني التوحيد، والعفة، والصبر، والثقة بوعد الله، حتى يتحقق قوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.

Edit with WPS Office

الخاتمة

Edit with WPS Office

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد تناول هذا الكتاب الموسوم «الروض الأنيق في شرح قصة يوسف الصديق عليه السلام» دراسةً لقصة نبي الله يوسف عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، مع بيان أحداثها، وتحليل مقاصدها، واستخراج ما اشتملت عليه من فوائد عقدية، وتربوية، ودعوية، وأخلاقية، والرد على أبرز الشبهات التي أثيرت حولها.

وقد تبيّن من خلال هذه الدراسة أن قصة يوسف عليه السلام ليست مجرد سردٍ تاريخي لأحداث وقعت في زمن مضى، وإنما هي منهج رباني متكامل في تربية الفرد والأسرة والمجتمع، ودستور عملي في الثبات على الإيمان، والصبر على البلاء، والعفة عند الفتنة، والإحسان عند القدرة، والعفو عند التمكين، وحسن التوكل على الله تعالى.

كما أظهرت الدراسة أن سورة يوسف انفردت بين سور القرآن الكريم بعرض القصة كاملة في سياق واحد متصل، فجاءت آياتها في غاية الإحكام والانسجام، وربطت بين بدايات الأحداث ونهاياتها، حتى انتهت بتحقق رؤيا يوسف عليه السلام، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا﴾ [يوسف: 100].

وقد كشفت الدراسة عن جوانب عظيمة من شخصية يوسف عليه السلام، فكان مثالًا للنبي الصادق، والعبد المخلص، والداعية الحكيم، والمربي الناجح، والقائد الأمين، والإداري الكفء، الذي جمع بين الإيمان العميق، والعلم النافع، والعمل الصالح، وحسن الخلق، حتى

Edit with WPS Office

استحق أن يكون قدوة للأمم في مختلف العصور.

كما بينت الدراسة أن الابتلاء سنة ماضية في حياة الأنبياء و الصالحين، وأن الفرج قد يتأخر لحكمة يعلمها الله تعالى، غير أن وعد الله حق، وأن العاقبة تكون دائمًا لأهل الإيمان والتقوى والصبر، كما ق ال سبحانه: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: 90].

وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن كثيرًا من الشبهات المثارة حول قصة يوسف عليه السلام إنما نشأت من سوء فهم النصوص، أو من إغفال قواعد التفسير، أو من الاعتماد على روايات غير صحيحة، وأن الرد عليها يكون بالرجوع إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وأقوال أئمة التفسير والعقيدة، مع الالتزام بالمنهج العلمي الرصين.

ومن أبرز ما تؤكد عليه قصة يوسف عليه السلام أن الدعوة إلى الله تقوم على الحكمة، والرفق، وحسن الخلق، وأن الداعية الحق يجعل من كل موقف فرصةً للدعوة والإصلاح، كما فعل يوسف عليه السلام في السجن، وفي القصر، وفي مجلس الملك، وفي تعامله مع إخوته، حتى صار نموذجًا خالدًا للداعية الرباني.

وإذا كانت الأمم تبحث عن النماذج المشرقة في القيادة والإدارة و التخطيط، فإن قصة يوسف عليه السلام تقدم نموذجًا فريدًا يجمع بين الكفاءة والأمانة، وبين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، وبين تحقيق مصالح الناس والمحافظة على القيم الإيمانية، وهو ما تحتاج إليه المجتمعات في كل زمان.

وفي ختام هذا الكتاب، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا

Edit with WPS Office

لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعله لبنةً في خدمة كتاب الله تعالى، وأن يرزق المسلمين حسن تدبر القرآن الكريم، و العمل بما فيه، والاقتداء بأنبيائه ورسله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Edit with WPS Office

أهم النتائج

Edit with WPS Office

بعد دراسة قصة يوسف عليه السلام دراسةً تحليليةً في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال المفسرين، توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها ما يأتي:

أن قصة يوسف عليه السلام من أعظم القصص القرآني، وقد وصفها الله تعالى بأنها ﴿أحسن القصص﴾ لما اشتملت عليه من جمال العرض ، ووحدة البناء، وكثرة العبر والفوائد.

أن سورة يوسف انفردت بعرض القصة كاملة في سياق واحد، مما أبرز ترابط أحداثها ودقة ترتيبها، وأظهر الإعجاز البياني والموضوعي للقرآن الكريم.

أن جميع مراحل حياة يوسف عليه السلام كانت تسير وفق تدبير الله تعالى وحكمته، وأن الابتلاء كان مقدمة للتمكين، تحقيقًا لسنة الله في عباده الصالحين.

أن الإيمان بالقضاء والقدر، وحسن التوكل على الله، والصبر على البلا ء، من أبرز المعاني العقدية التي رسختها قصة يوسف عليه السلام.

أن التوحيد كان محور دعوة يوسف عليه السلام، وأنه اغتنم جميع الفرص للدعوة إلى الله، حتى وهو في السجن.

أن العفة من أعظم صفات يوسف عليه السلام، وأنها كانت ثمرةً للإ يمان الصادق، ومراقبة الله تعالى، والخوف منه.

أن الصبر بجميع صوره كان حاضرًا في حياة يوسف عليه السلام؛ فصبر على حسد إخوته، وعلى فراق أهله، وعلى الرق، وعلى فتنة امرأة العزيز، وعلى السجن، حتى أكرمه الله بالتمكين.

Edit with WPS Office

أن قصة يوسف تقدم نموذجًا متكاملًا في التربية الإسلامية، من خلا ل تربية الأبناء على الإيمان، والخلق، والصبر، وتحمل المسؤولية، و العفو، والإحسان.

أن حسن الخلق كان من أعظم أسباب نجاح يوسف عليه السلام في دعوته، وفي تعامله مع الناس، وفي توليه شؤون الدولة.

أن الإدارة الرشيدة والتخطيط للمستقبل والأخذ بالأسباب لا تتعارض مع التوكل على الله، بل هي من مقتضياته، كما ظهر في خطة يوسف لمواجهة سنوات الجدب.

أن القيادة الناجحة تقوم على الأمانة والكفاءة، وهو ما دل عليه قول يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾.

أن العفو والإحسان عند القدرة من أعظم الأخلاق التي أبرزتها القصة، ويتجلى ذلك في موقف يوسف عليه السلام من إخوته حين قال: ﴿ لا تثريب عليكم اليوم﴾.

أن الأسرة الصالحة تقوم على الحوار، والنصح، والرحمة، وحسن التربية، وهو ما ظهر في تعامل يعقوب عليه السلام مع أبنائه.

أن الرؤى الصادقة حق، وهي جزء من النبوة، وقد كانت رؤيا يوسف عليه السلام بداية أحداث القصة ونهايتها.

أن الشبهات المثارة حول قصة يوسف عليه السلام لا تقوم على أدلة صحيحة، وإنما تنشأ غالبًا من سوء الفهم أو مخالفة منهج التفسير الصحيح.

أن عصمة الأنبياء أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة،

Edit with WPS Office

وقصة يوسف عليه السلام من أوضح الأدلة على عفة الأنبياء وطهارتهم.

أن سجود إخوة يوسف عليه السلام كان سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة، وكان مشروعًا في شريعتهم، ثم نُسخ في شريعة الإسلام.

أن قصة يوسف عليه السلام تؤكد أن العاقبة للمتقين، وأن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، مهما طال زمن الابتلاء.

أن سورة يوسف تمثل مدرسة متكاملة في الدعوة والتربية والإصلاح، ويمكن الإفادة من منهجها في معالجة كثير من القضايا التربوية والاجتماعية والدعوية المعاصرة.

أن تدبر قصص القرآن الكريم من أعظم وسائل زيادة الإيمان، وتصحيح المفاهيم، واستنباط الأحكام والعبر، وهو ما يجعل العناية بها من أهم مجالات البحث العلمي والدعوي.

وفي ضوء هذه النتائج، يتبين أن قصة يوسف عليه السلام ليست مجرد قصة تاريخية، بل هي منهج رباني متكامل في بناء العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وتربية النفوس، وإعداد القادة، وترسيخ الثقة بوعد الله تعالى، ولذلك استحقت أن تكون من أعظم ما يُتدبر من قصص القرآن الكريم، وأن تبقى مصدرًا للهداية والإصلاح في كل زمان ومكان.

Edit with WPS Office

التوصيات

Edit with WPS Office

في ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

العناية بتدبر سورة يوسف دراسةً وتعليمًا؛ لما اشتملت عليه من أصول عقدية، وقيم تربوية، ومناهج دعوية، وأخلاق سامية يحتاج إليها المسلم في حياته.

تشجيع الباحثين على إعداد دراسات علمية متخصصة في قصص الأ نبياء، تجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل المقاصدي والتطبيقات المعاصرة.

الاعتماد على كتب التفسير المعتبرة عند دراسة قصة يوسف عليه السلام، مع الحذر من الروايات الضعيفة والإسرائيليات التي لا تثبت أو التي تخالف النصوص الصحيحة.

تعزيز برامج التربية الأسرية المستفادة من قصة يوسف عليه السلام، ولا سيما في مجالات العدل بين الأبناء، والحوار الأسري، وغرس الإ يمان، ومعالجة الغيرة والحسد.

إبراز قيمة العفة والطهارة في المناهج التعليمية والخطاب الدعوي، وربط الشباب بسيرة يوسف عليه السلام بوصفها نموذجًا عمليًا في مقاومة الفتن والشهوات.

الاستفادة من المنهج الدعوي ليوسف عليه السلام في إعداد الدعاة؛ من خلال التدريب على الحكمة، وحسن الخطاب، وفقه الأولويات، واغتنام الفرص في دعوة الناس إلى الله تعالى.

Edit with WPS Office

الاهتمام بغرس قيمة الصبر والثقة باللّٰه في نفوس الناشئة، وبيان أن الابتلاء سنة إلهية، وأن الفرج يأتي بعد الصبر، وأن العاقبة للمتقين.

إبراز الجوانب القيادية والإدارية في شخصية يوسف عليه السلام، و الاستفادة منها في برامج إعداد القيادات، وإدارة الأزمات، و التخطيط للمستقبل، وربط ذلك بالقيم الإسلامية.

العناية بالرد العلمي على الشبهات المثارة حول قصص القرآن الكريم، من خلال الدراسات الأكاديمية، والندوات العلمية، والوسائل الإعلا مية، بما يعزز الثقة بكتاب اللّٰه تعالى.

إعداد مناهج تربوية ودورات تدريبية مستوحاة من قصة يوسف عليه السلام، تُعنى ببناء الشخصية المسلمة، وتنمية الأخلاق، وترسيخ معاني الصبر، والعفة، والإحسان، والعفو.

تشجيع المؤسسات التعليمية والدعوية على تنظيم مسابقات وبرامج قرآنية تعنى بفهم قصص القرآن، وربطها بواقع الحياة، وعدم الا قتصار على الحفظ المجرد.

الاهتمام بالبحوث المقارنة بين عرض القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام وما ورد في الكتب السابقة، لإبراز دقة القرآن الكريم، وتنزيهه للأنبياء، وإظهار وجوه الإعجاز في عرضه للأحداث.

توظيف الوسائل التقنية الحديثة في نشر الدروس المستفادة من قصة يوسف عليه السلام، من خلال التطبيقات الرقمية، والمنصات التعليمية، والمواد المرئية والمسموعة، بما يسهم في إيصال معانيها

Edit with WPS Office

إلى مختلف الفئات.

تعميق ثقافة العفو والإصلاح والتسامح في المجتمع، واستلهام موقف يوسف عليه السلام مع إخوته بوصفه نموذجًا رفيعًا في الصفح عند القدرة، ولمّ شمل الأسرة، وإصلاح ذات البين.

توجيه طلاب الدراسات الإسلامية إلى العناية بالدراسات الموضوعية لسور القرآن الكريم، وربطها بواقع الأمة وقضاياها المعاصرة، بما يسهم في تجديد الخطاب العلمي والدعوي وفق منهج الكتاب و السنة.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين والدعاة، وأن يجعله سببًا في زيادة تدبر كتابه الكريم، والاقتداء بأنبيائه ورسله، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

Edit with WPS Office

الفهارس

Edit with WPS Office

أولًا: فهرس الموضوعات

المقدمة

التمهيد

التعريف بسورة يوسف.

سبب نزول السورة.

أسماء سورة يوسف وفضائلها.

مقاصد السورة.

مكانة قصة يوسف بين قصص القرآن.

الفصل الأول: التعريف بيوسف عليه السلام ونسبه

المبحث الأول: نسب يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني: مكانته بين الأنبياء.

المبحث الثالث: فضائله وصفاته.

الفصل الثاني: رؤيا يوسف عليه السلام وبداية الابتلاء

المبحث الأول: رؤيا يوسف.

المبحث الثاني: موقف يعقوب عليه السلام.

المبحث الثالث: حسد الإخوة.

المبحث الرابع: إلقاء يوسف في الجب.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث: يوسف عليه السلام في مصر
المبحث الأول: بيعه في مصر.
المبحث الثاني: نشأته في بيت العزيز.
المبحث الثالث: مظاهر إعداد الله له.
الفصل الرابع: فتنة امرأة العزيز
المبحث الأول: مراودة امرأة العزيز.
المبحث الثاني: موقف يوسف من الفتنة.
المبحث الثالث: شهادة الشاهد.
المبحث الرابع: النسوة وامرأة العزيز.
المبحث الخامس: دخول يوسف السجن.
الفصل الخامس: يوسف عليه السلام في السجن
المبحث الأول: أحوال يوسف في السجن.
المبحث الثاني: دعوته إلى التوحيد.
المبحث الثالث: تفسير رؤيا صاحبي السجن.
المبحث الرابع: الدروس الدعوية في السجن.
الفصل السادس: خروج يوسف من السجن والتمكين له
المبحث الأول: رؤيا الملك.

Edit with WPS Office

المبحث الثاني: تفسير الرؤيا.

المبحث الثالث: براءة يوسف.

المبحث الرابع: توليه خزائن الأرض.

المبحث الخامس: إدارة سنوات الرخاء والجدب.

الفصل السابع: لقاء يوسف بإخوته

المبحث الأول: الرحلة الأولى إلى مصر.

المبحث الثاني: احتجاز بنيامين.

المبحث الثالث: رجوع الإخوة إلى أبيهم.

المبحث الرابع: الرحلة الثانية.

المبحث الخامس: كشف يوسف عن شخصيته.

المبحث السادس: اجتماع الأسرة في مصر.

المبحث السابع: تحقق الرؤيا.

الفصل الثامن: أبرز الدروس والعبر من قصة يوسف عليه السلام

المبحث الأول: الدروس الإيمانية.

المبحث الثاني: الدروس الأخلاقية.

المبحث الثالث: الدروس الاجتماعية.

المبحث الرابع: الدروس القيادية والإدارية.

Edit with WPS Office

المبحث الخامس: الدروس النفسية.
الفصل التاسع: الفوائد العقدية والتربوية والدعوية
المبحث الأول: الفوائد العقدية.
المبحث الثاني: الفوائد التربوية.
المبحث الثالث: الفوائد الدعوية.
الفصل العاشر: أهم الشبهات والرد عليها
المبحث الأول: هل كان سجود إخوة يوسف عبادة؟
المبحث الثاني: معنى هم يوسف عليه السلام.
المبحث الثالث: حقيقة مراودة امرأة العزيز.
المبحث الرابع: عصمة الأنبياء في قصة يوسف.
الخاتمة
أهم النتائج
أهم التوصيات
المراجع
الفهارس
ثانيًا: فهرس الآيات القرآنية
سورة البقرة.

Edit with WPS Office

سورة آل عمران.

سورة النساء.

سورة المائدة.

سورة الأنعام.

سورة الأعراف.

سورة هود.

سورة يوسف.

سورة الإسراء.

سورة الكهف.

سورة مريم.

سورة طه.

سورة الأنبياء.

سورة المؤمنون.

سورة النور.

سورة الشعراء.

سورة القصص.

سورة العنكبوت.

Edit with WPS Office

سورة الروم.

سورة غافر.

سورة فصلت.

سورة الشورى.

سورة الزخرف.

سورة محمد.

سورة الفتح.

سورة الحجرات.

سورة الذاريات.

سورة النجم.

سورة الحديد.

سورة الحشر.

سورة الصف.

سورة التغابن.

سورة الملك.

سورة القلم.

سورة الجن.

Edit with WPS Office

سورة المزمل.

سورة المدثر.

سورة القيامة.

سورة الإنسان.

سورة النبأ.

سورة النازعات.

سورة عبس.

سورة التكوير.

سورة الانشقاق.

سورة البروج.

سورة الأعلى.

سورة الغاشية.

سورة الفجر.

سورة البلد.

سورة الشمس.

سورة الليل.

سورة الضحى.

Edit with WPS Office

سورة الشرح.

سورة التين.

سورة العلق.

سورة البينة.

سورة الزلزلة.

سورة العصر.

سورة الإخلاص.

ثالثًا: فهرس الأحاديث النبوية

حديث: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

حديث: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

حديث الشفاعة وذكر يوسف عليه السلام.

حديث الرؤيا الصالحة من أجزاء النبوة.

الأحاديث الواردة في العفة والصبر والتوكل.

الأحاديث المتعلقة بالسجود والتحية.

الأحاديث الواردة في فضل الأنبياء.

رابعًا: فهرس الأعلام

Edit with WPS Office

آدم عليه السلام.

نوح عليه السلام.

إبراهيم عليه السلام.

إسحاق عليه السلام.

يعقوب عليه السلام.

يوسف عليه السلام.

بنيامين.

امرأة العزيز.

العزيز.

ملك مصر.

شاهد امرأة العزيز.

صاحبا السجن.

جبريل عليه السلام.

محمد ﷺ.

أبو بكر الصديق.

عمر بن الخطاب.

عبد الله بن عباس.

Edit with WPS Office

الطبري.
القرطبي.
ابن كثير.
ابن تيمية.
ابن القيم.
الشنقيطي.
خامسًا: فهرس الأماكن
أرض كنعان.
مصر.
الجب.
بيت العزيز.
السجن.
قصر الملك.
خزائن مصر.
سادسًا: فهرس الموضوعات العامة
الأنبياء.
الابتلاء.

Edit with WPS Office

الإحسان.

الأخلاق.

الأمانة.

الإدارة.

التوكل.

التوبة.

التربية.

التخطيط.

التدبير.

التفسير.

التمكين.

التوحيد.

الدعوة.

الرؤى.

الصبر.

العدل.

العفة.

Edit with WPS Office

العقيدة.

القضاء والقدر.

القيادة.

المحبة.

المراودة.

النبوة.

الهجرة.

الهداية.

الوحدة الأسرية.

اليقين

Edit with WPS Office

قائمة المراجع

Edit with WPS Office

أولًا: القرآن الكريم

القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير

ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.

البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة.

أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت.

الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت.

الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق.

الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار

Edit with WPS Office

الفكر.

ثالثًا: كتب الحديث وشروحها

الإمام البخاري، الجامع الصحيح.

الإمام مسلم، صحيح مسلم.

أبو داود، سنن أبي داود.

الترمذي، الجامع (سنن الترمذي).

النسائي، السنن الكبرى.

ابن ماجه، سنن ابن ماجه.

الإمام النووي، شرح صحيح مسلم.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

رابعًا: كتب العقيدة

ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، النبوات.

ابن القيم، مدارج السالكين.

ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.

Edit with WPS Office

السفاريني، لوامع الأنوار البهية.

خامسًا: كتب قصص الأنبياء

ابن كثير، قصص الأنبياء.

عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء.

أبو إسحاق الثعلبي، عرائس المجالس في قصص الأنبياء (مع التنبيه إلى ضرورة التثبت من الروايات الواردة فيه).

سادسًا: كتب علوم القرآن

الزركشي، البرهان في علوم القرآن.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

مناع القطان، مباحث في علوم القرآن.

محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن.

سابعًا: كتب الدعوة والتربية

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم.

سيد قطب، في ظلال القرآن.

عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن الكريم.

عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة.

Edit with WPS Office

ثامنًا: المراجع اللغوية

ابن منظور، لسان العرب.

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن.

الفيومي، المصباح المنير.

الفيروزآبادي، القاموس المحيط.

تاسعًا: المراجع التاريخية

ابن الأثير، الكامل في التاريخ.

الذهبي، سير أعلام النبلاء.

ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر).

عاشرًا: الرسائل والبحوث العلمية

البحوث المحكمة المنشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حول قصص الأنبياء.

البحوث المنشورة في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و الدراسات الإسلامية.

الدراسات المنشورة في مجلة كلية أصول الدين بجامعتي الأزهر والإ مام محمد بن سعود الإسلامية.

الرسائل الجامعية المتعلقة بسورة يوسف وقصص الأنبياء في قواعد البيانات الأكاديمية.

Edit with WPS Office

المراجع الأجنبية (English References)

Abdel Haleem, M. A. S. The Qur'an: A New Translation. Oxford University Press.

Ali, Abdullah Yusuf. The Holy Qur'an: Text, Translation and Commentary. Amana Publications.

Esack, Farid. The Qur'an: A User's Guide. Oneworld Publications.

Mir, Mustansir. Coherence in the Qur'an. American Trust Publications.

Nasr, Seyyed Hossein et al. The Study Quran. HarperOne.

Rahman, Fazlur. Major Themes of the Qur'an. University of Chicago Press.

Watt, W. Montgomery. Bell's Introduction to the Qur'an. Edinburgh University Press.

Robinson, Neal. Discovering the Qur'an. SCM Press.

Haleem, M. A. S. Abdel. Understanding the Qur'an: Themes and Style. I.B. Tauris.

Siddiqui, Mona. How to Read the Qur'an. W. W.

Edit with WPS Office

.Norton & Company

خاتمة

اعتمدت هذه الدراسة على أمهات كتب التفسير، والحديث، والعقيدة، وعلوم القرآن، واللغة، مع الاستفادة من عدد من الدراسات الأكاديمية الحديثة؛ وذلك لضمان الجمع بين التأصيل الشرعي، والمنهج العلمي، والاستفادة من جهود العلماء المتقدمين والمعاصرين في خدمة كتاب الله تعالى وقصص أنبيائه.

Edit with WPS Office